محنة العلماء الأشاعرة

في مدينة نيسابور

٤٤٥-٤٥٥هـ/١٠٥٣م-١٠٦٣م

أحداثها- أسبابها-

وجهود العلماء للخروج منها.

إعداد:

عوض سعد محمود عيسى

أستاذ.م في قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر

ملخص بحث:

[محنة الأشعري في مدينة نيسابور[٤٤٥-٤٥٥هـ/١٠٥٣-١٠٦٣م]، أحداثها، أسبابها، وجهود العلماء للخروج منها]

إعداد:

عوض سعد محمودعيسى

أستاذ.م في قسم التاريخ والحضارة ، كلية اللغة العربية بالقاهرة–جامعة الأزهر.

dr-awad2010@hotmail.com

مقدمة:

ظهر المذهب الأشعري في النصف الاول من القرن الرابع الهجري، ولكن سرعان ما انتشر مذهبهم وساد في النصف الثاني من القرن نفسه وفي القرون التالية ،وهو مذهب عقائدي يعنى بأمور العقائد الإيمانية ،وجاء وسطًا بين مذاهب الفلسفة الإسلامية الأخرى،وتميز بالجمع بين النقل والعقل ، وفسَّر الأمور المتعلقة بالعقيدة عن طريق العقل والشرع.

لذلك، فإن المذهب الأشعري يمثل الوسطية والاعتدال في الإسلام، ويجمع بين الثبات والمرونة، ويدحض كل الأفكار المتطرفة التي تحاول تشويه الإسلام وتتهمه بالجمود؛ والدليل على ذلك، أنك ترى في تاريخ الحضارة الإسلامية أن كبار العلماء في التخصصات المختلفة كانوا أشعري.

أهمية هذا البحث:

مناقشة موقف السلاجقة من الأشعري في حقبة تاريخية مهمة ،في مدينة "نيسابور" ، حين اعترضوا على قرار السلطان " طوغرل بيك " لعن الأشاعرة والإمام الأشعري في المساجد يوم الجُمعة من كل أسبوع بحجة أنهم من المبتدعة، وكان كل ذلك بسبب وشاية من أحد الوزراء؛ فطردوهم من الوظائف ، وضربوهم ،وسخروا منهم ، ونفوهم ، وتعرضوا لمحنة عظيمة ، لم تنفرج إلا بموت السلطان طوغرلبك ،وجاء "أرسلان" ، والوزير " نظام الملك الطوسي" ، الذي أنقذهم.

محتويات البحث:

يحتوي على: مقدمة ،وتمهيد ، وخمسة عناصر ،والخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

من نتائج البحث:

١)- كادت الخصومة السياسية والمذهبية أن تعصف بالعلماء الأشعري في مدينة نيسابور.

٢)- تعرض العلماء الأشعري في مدينة نيسابور لمحنة عظيمة ،أدت إلى نتائج مؤلمة لهم .

٣)- أثبتنا في هذا البحث أن الوزير الكوندري، هو السبب الرئيس في إشعال هذه المحنة ،كما أثبتنا أنه دبر هذا بدافع سياسي وهو خوفه على منصب الوزارة ، وبدافع مذهبي بحكم تعصبه للمذهب الحنفي .

٤)- قام العلماء بجهود كبيرة للدفاع عن مذهبهم ، وذلك بتوضيح حقيقته للناس.

٥)- العلماء الآخرون ساعدوا الأشعري في محنتهم .

٦)- كانت بداية انفراج هذه المحنة حين تولى السلطان أرسلان والوزير، نظام الملك الطوسي.

٧)- اشتهرالمذهب الأشعري بالقوة والأصالة عبر عصور التاريخ ،لاعتماده على صحيح الإسلام.

٨)- ظهرت مدارس الوزير نظام الملك الطوسي ، وانتشرت نتيجة هذه المحنة .

كلمات مفاتيح البحث:

(الأشاعرة ، السلاجقة ، مدينة نيسابور ، السلطان طوغرلبك ، الوزير الكندري ، السلطان أرسلان ، الوزيرنظام الملك الطوسي).

English summary

(The tribulation of The Ash'ara scientist in the city of Nishapur"445 - 455 e / 1053 -1053AH" events, reasons, and the efforts of scientists to get out of it).

Awad Saad Mahmoud Issa.

Professor, Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Cairo, Al-Azhar University.

Email: dr-awad2010@hotmail.com

Introduction:

The Ash'ari doctrine emerged in the first half of the fourth century AH, but soon spread their doctrine and prevailed in the second half of the same century and in the following centuries, It is a doctrinal doctrine concerned on matters of faith beliefs, and came a moderation among the doctrines of other Islamic philosophy, and distinguished by the combination of text and mind, Matters related to faith through Mind and Sharia. Therefore, the doctrine Ash'ari represents moderation in Islam, and combines stability and flexibility, and refutes all extremist ideas that are trying to distort Islam and accuses it of immobility; And as a Proof of this, you can see in the history of Islamic civilization that senior scientists in different Islamic Sciences Were Ash'ara.

Importance of this research:

Discussing the position of the Seljuks of Ash'ara in an important historical period, in the city of Nishapur, when they objected to the decision of the Sultan, "Tuğril Bek," cursed the Ash'ara and Imam Ash'ari in the mosques on Friday every week on the grounds that they were innovators. all this was as a snitching of one of the ministers , so They sent them away from the jobs, beat them, ridiculed them, humiliated them, and were subjected to a great ordeal, which was unleashed only by

the death of Sultan Tugarlbek.and coming "Arslan" and his Minister "Nezam el-molk- AlTusi" and saved them.

searchcontents:

It contains Introduction, Preface, Five items, Conclusion, List of Sources and Ref erences.

From search results:

1)-the political and doctrinal rivalry almost overwhelmed the Ash'ara scientists in the city of Nishapur

2) - The Ash'ara scientists in the city of Nishapur were subjected to a great tribulation, which led to painful consequences for them 3) - We proved in this research that the Minister" Kondari", is the main reason for erupting this tribulation, as we have proved that he was motivated by a political fear of the position of the ministry, and sectarian motivation by virtue of fanaticism of the Hanafi doctrine.

4) - Scientists have made great efforts to defend their doctrine, by clarifying his truth to the people.

5) - The other scientists helped Ash'ara in their tribulation.

6) - the beginning of the breakthrough of this tribulation with coming of Sultan Arslan and the Minister, Nezam el mulk Tusi

7)-The Ash'ari doctrine was known for its strength and originality through the ages of history, for its reliance on the true Islam

8) - Minister Nezam el-mulk's schools appeared, and spread as a result of this tribulation.

Keywords Search

(Ash'ara, Seljuks, the city of Nishapur, the Sultan of Tuğril Bek, the Minister of Kondari, Sultan Arslan, Minister Nezam el-mulk- AlTusi)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ظهر الأشاعرة[١] في النصف الاول من القرن الرابع الهجري، ولكن سرعان ما انتشر مذهبهم وساد في النصف الثاني من القرن نفسه وفي القرون التالية.

والمذهب الأشعري ليس مذهبًا فقهيًا على غرار المذاهب الفقهية الأربعة : الحنفية، والمالكية ،والشافعية ، والحنابلة ، بل هو مذهب عقائدي يعنى بأمور العقائد الإيمانية.

وقد جاء وسطًا بين مذهب أهل التنزيه (المعتزلة)[٢]، والمشبهة والمجسمة[٣]، ويتميز بالجمع بين النقل والعقل ، كما أنه يفسر الأمور المتعلقة بالعقيدة وفق العقل ودلالات النص.

---

[١] – الأشاعرة:فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري،الذي خرج عن المعتزلة ؛ وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها ، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية . البغدادي" عبد القادر بن طاهر بن محمد "،الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط(٢) ١٩٧٧م ص٣٣١،٣٣٠ ، الشهرستاني" أبو الفتح محمد بن عبد الكريم" ، الملل والنحل ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، لبنان ١٤٠٤ هـ /ج١ص٩٦.

[٢] – المعتزلة هم الذين قالوا إن الله – عز وجل – شيء لا كالأشياء وأنه خالق الأجسام والأعراض ، وأنه خلق كل ما خلقه لا من شيء .البغدادي:الفرق بين الفرق،ص٩٤ ، الشهرستاني:الملل والنحل،ج١ص٤٢.

[٣] – وهم الذين يشبهون صفات الله بصفات غيره ، ويشبهون ذات الله بذات غيره ، والمشبهة والمجسمة فرق كثيرة . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٢١٤ ، الشهرستاني: الملل والنحل ، ج١ص١٥ ،وراجع ص٨ من هذا البحث.

كذلك، فإن هذا المذهب لم يكن أمرًا مخترعًا أو محدثًا في الدين ، وأن الأشعري:"لم يُحْدِثْ في دين الله حدثًا ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء".[١]

لذلك، فإن المذهب الأشعري يمثل الوسطية والاعتدال في الإسلام، ويجمع بين الثبات والمرونة، ويدحض كل المكائد والأفكار المنحرفة التي تحاول تشويه الإسلام وتتهمه بالجمود[٢]؛ والدليل على ذلك، أنك ترى في تاريخ الحضارة الإسلامية أن كبار العلماء في التخصصات المختلفة كانوا أشاعرة.

---

[١]) – من رسالة وجهها الإمام أبوبكر البيهقي للوزير الكندري أثناء المحنة التي ندرسها في هذا البحث.عن هذه الرسالةيراجع:ابن عساكر"على بن حسن": تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط (٣) ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص١٠٣.

[٢]) – المقريزي"تقي الدين أحمد بن علي":المواعظ والاعتباربذكرالخطط والآثار(المشهور بخطط المقريزي)،بولاق،القاهرة ١٢٧٠ ،ج٢ص٣٥٧، عبدالمجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي،من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد،دارالوفاءللطباعةوالنشروالتوزيع،مصر،ط(٢) ١٩٨٨م،ص٢٣، مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٣م ص ٤٦٢ .

وأهمية هذا البحث تتجلى فيما يلي:

١)- دراسة موقف السلطة السلجوقية الحاكمة من العلماء الأشاعرة في حقبة تاريخية مهمة من خلال دراسة حادثة أليمة تعرض لها هؤلاء العلماء.

٢)- إبراز صفحة مطوية من صفحات تاريخ الفكر الأشعري، لم يبرزها أحد من قبل بهذا الشكل ، على حد علمي.

٣)- إظهارأن الصراع السياسي والخوف على المنصب،قد يؤدي إلى محاولة سحق أناس لهم دور علمي كبير،فيؤثر هذا بالسلب على مسيرة الحضارة الإسلامية.

٤)- إلقاء الضوء على جهود علمية قام بها بعض كبارالأشاعرة ؛ للدفاع عن مذهبهم.

٥)- إبراز الفوائد التي عمت العالم الإسلامي بسبب هذه المحنة ؛ وذلك لأنها كانت سببًا في وجود العشرات من مدارس للعلم ، انتشرت في الدولة الإسلامية ، عرفت " بالمدارس النظامية" .

٦)- محاولة إثبات أن المذهب الأشعري استطاع أن يتعايش مع خصوم له من المذاهب الأخري،ويفسح لهم المجال معه.

وإدراكًا مني لهذه الأهمية ، فقد رغبت في الكتابة في هذا الموضوع ، غير أنني اخترت حادثة تاريخية واحدة ـ كأنموذج ـ تظهر فيه هذه الامور ، وقد جعلت هذه الدراسة تحت عنوان:"محنة العلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور(٤٤٥ـ٤٥٥ هـ/١٠٥٣ـ١٠٦٣م) ، أحداثها ، أسبابها ، وجهود العلماء للخروج منها ".

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في خمسة عناصر ، يسبقها مقدمة ، ثم تمهيد، وتقفوها الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس عام يرجع إليه القارئ الكريم.

المقدمة : وقد ذكرت فيها أهمية البحث ،وخطته .

التمهيد : وفيه موجز للتعريف بطبيعة المذهب الأشعري وأصوله ، وكيف نشأ وسطًا بين المذاهب الأخرى.

العنصر الأول:وهو بعنوان" أحداث المحنة التي وقعت للعلماء الأشاعرة بنيسابور"،وهى المحنة التي كان السبب فيها الوزير الكندري،حيث تم استعراض أحداثها منذ بدايتها وحتى نهايتها، مع ذكر أهم نتائجها.

العنصر الثاني: بعنوان:"دراسة تاريخية تحليلية لأسباب المحنة"، وبيان ما إذا كانت دينية أم سياسية، مع استعراض أهم الاتجاهات في ذلك .

العنصر الثالث بعنوان:"من جهود كبار العلماء الأشاعرة في الدفاع عن مذهبم(الإمام أبي القاسم القشيري،والإمام أبي بكر البيهقي)"،حيث استعرضت الرسائل والمناشدات التي بعثا بها للحكام والوزراء والعلماء والعامة، بغية وقف

لعن الأشعري وعقيدته على المنابر كل يوم جمعة ، ولقد جاءت هذه التحركات في ضوء تصحيح المفاهيم حول أبي الحسن الأشعري ومذهبه.

العنصر الرابع بعنوان:"أثر تحركات علماء نيسابور على العلماء خارجها " كجهود أبي إسحاق الشيرازي، وتلميذه أبى بكر الشاشي وغيرهما من بغداد،وجهود بعض علماء المغرب الإسلامي والأندلس ، كأبي الوليد بن

رشد المالكي ، وغير هذا من أصحاب المذاهب الأخرى الذين فهموا طبيعة العقيدة الأشعرية.

العنصر الخامس والأخير بعنوان:"انفراج محنة الأشاعرة وتفوقهم" ، وذلك عقب وفاة طغرلبك ،ووزيره الكندري، ومجيء السلطان"ألب أرسلان" ، ووزيره "نظام الملك".

ثم أعقب كل هذا خاتمة ، وقائمة المصادر والمراجع الواردة في البحث، وفهرس عام.

وإني لأرجو الله تعالي أن ينال هذا العمل المتواضع إعجاب القارئ الكريم، "ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير".

التمهيد

وسطية مذهب الأشاعرة بين التيارات الفكرية الرئيسية.

وسطية مذهب الأشاعرة بين تيارين

مدرسة أهل الحديث ،ومدرسة المعتزلة

علماء الحديث هم الذين غلَّبوا النَّصَ ، وفي أحيان كثيرة ظاهر النص على الرأي والقياس وغيرهما من سبل وآليات النظر العقلي، فوقفوا عند الرواية أكثر من وقوفهم عند الدراية، وحرَّموا الاشتغال بعلم الكلام ، فضلا عن الفلسفات الوافدة على حضارة الإسلام ، وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم أحيانا "أهل الحديث" ، لاشتغالهم بصناعة المأثور وعلوم الرواية، ورفضهم علوم النظر العقلى.[١]

وإمام هذه المدرسة هو أبو عبد الله أحمد ابن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ /٧٨٠-٨٥٥م) وفيها نجد أبرز الأئمة الذين اشتغلوا بصناعة الرواية وعلومها.[٢]

ولقد تطورت هذه المدرسة في مرحلة ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/١٢٦٣-١٣٢٨م) وابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ/١٢٩٢-١٣٥٠م) ،فضمت إلى المأثور بعضًا من أدوات النظر العقلى، وإن ظلت الغلبة والأولوية عندها للنصوص والمأثورات.

---

[١]) – محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامى ، دار الشروق ، مصر ط(٢) ١٩٩٧م ص١٣٩.

[٢]) – من أمثال: ابن راهويه (٢٣٨هـ/٨٥٢م) وإمام علم الجرح والتعديل ، وأصحاب الصحاح والجوامع والمسانيد: البخارى (٢٥٦هـ/٨٧٠م) ، وأبو داود (٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، والدارمى (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، والطبرانى (٣٦٠هـ/٩٧١م)، والبيهقى (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

وعن هذا المنهاج يعبر ابن قيم[١] ، فيقول: "إن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ، ولم يُحِلْنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس ، بل قد بين الأحكام كلها ، والنصوص كافية وافية بها ... وإن الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط ، وإن فيها غنية عن كل رأى وقياس وسياسة واستحسان ، ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ".

فلقد ظل النَّص وحده هو المرجع عند هؤلاء السلفيين ، لكن التطور قد أصاب هذا المنهاج النصى ـ في مرحلة ابن تيمية وابن قيم ـ فحدث إعمال الفهم والعقل في النصوص ، دون الاكتفاء بالوقوف عند ظواهر هذه النصوص.

ولقد كان غلو هذا التيار الفكري في الانحياز إلى النَّص وحده ، ثمرة لعوامل كثيرة ، منها: مخافة غلو مضاد انحاز أهله ـ وهم فلاسفة العقلانية اليونانية من المشائيين ـ إلى عقلانية غير مضبوطة بالنص الدينى، وأيضًا النزعة الصوفية الباطنية الإشراقية، التى انحازت إلى الذوق والحدس ، دونما ضابط من النص ولا من العقل.[٢]

---

[١]) – "محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ":إعلام الموقعين عن رب العالمين ، مطابع الإسلام، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ،ج١ص٣٣٧.

[٢]) – محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامى، ص١٧١.

ظهورالمذهب الأشعري

في وسط هذين التيارين الرئيسين ظهر الإمام الأشعري[١] الذي بدأ حياته معتزليًا،لكنه في منتصف طريقه الفكري خرج عليهم مناضلاً لهم بفكره،راميًا إياهم بكل نقيصة[٢]

ولأن هذه النزعات جميعها ـ النصية منها،والعقلانية،والباطنية ـ قد شابها قدر، كثير أو قليل ، من الغلو، فقد ظلت عاجزة عن استقطاب جمهور الأمة، وانحاز هذا الجمهور إلى النزعة الوسطية في السلفية، تلك التى جمعت بين النقل والعقل ووازنت بينهما، وهى الأشعرية التى أسسها إمامها أبو الحسن الأشعرى.

يقول المقريزي:[٣]" وحقيقة مذهب الأشعري ـ رحمه الله ـ أنه سلك طريقًا بين النفي الذي هو مذهب الإعتزال ، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه ، فمال إليه جماعة وعولوا على رأيه".

---

[١] – الأشعري هو:أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، وهو مؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٤ م وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ، ثم رجع وظاهر بخلافهم ،وله مؤلفات كثيرة منها: الإبانة ، والرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين، وتوفي سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٠م . ابن خلكان:(شمس الدين أحمد بن محمد) وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق/ إحسان عباس ، دار صادر ، لبنان ١٩٦٨م ج١ص٣٢٦ ، ابن كثير "إسماعيل بن عمر بن كثير" ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ :ج٩ص١٤٠.

[٢] – عبدالمجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص٢٢.

[٣] – المواعظ والاعتبار،ج٢ص٣٥٧.

ففي هذه المدرسة-(الأشعرية)- من مدارس السلفيين اجتمع النقل والمأثور مع النظر العقلى والاشتغال بعلم الكلام - الذى حرم السلفيون النَّصِّيون الاشتغال به- مع علم أصول الفقه ، الذى يمثل فلسفة العقلانية الإسلامية في التشريع.

ثم تطورت هذه المدرسة ـ بعد مرحلة التأسيس ـ على يد كوكبة من أئمتها.[١]

وعلى امتداد تاريخ الحضارة الإسلامية ، ظلت هذه الصورة وهذه الموازنة ملحوظة في مدارس ومذاهب السلفيين ، فالنزعة النصية والوقوف عند ظاهرها تمثلها في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/١٧٠٢-١٧٩٢م) المسماة بالوهابية ، في حين أن الأشعرية لا تزال الممثلة للعقلانية النصية تستقطب جمهور المسلمين.[٢]

---

[١])- فى مقدمتهم الباقلانى: أبو بكر محمد بن أبى الطيب (٤٥٣هـ-١٠١٣م) وإمام الحرمين الجوينى: أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف (٤١٩-٤٧٨هـ/١٠٢٨-١٠٨٥م) وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م).نفس المصدرالسابق.

[٢]) - محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامى،ص١٥٦.

محنة العلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور

٤٤٥-٤٥٥هـ / ١٠٥٣م-١٠٦٣م.

العنصرالأول: أحداث المحنة التي وقعت للعلماء الأشاعرة بنيسابور.

العنصرالثاني: دراسة تاريخية تحليليةلأسباب المحنة.

العنصرالثالث:من جهود كبار العلماء الأشاعرة في الدفاع عن مذهبهم.

(الإمام القشيري،والإمام البيهقي).

العنصرالرابع: أثر تحركات علماء نيسابور على العلماء خارجها.

العنصرالخامس: انفراج محنة الأشاعرة وتفوقهم.

العنصر الأول: أحداث المحنة التي وقعت للعلماء الأشاعرة بمدينة نيسابور[١]

إن التشويش على العقيدة الأشعرية السنية ظهر منذ نشأتها من قبل أناس قصر نظرهم، وضعفت بضاعتهم ، ثم إن الطعن كان موجهًا بالأساس إلى كبار أئمة المذهب الأشعري، ربما لاعتقادهم أن النيْل من هؤلاء الأعلام كاف لهدم المذهب الأشعري من أساسه، ولكن سقط في أيديهم، حيث أصبح المذهب الأشعري مذهبًا رسميٍا مجمعًا عليه من قبل الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة كما قال العز بن عبد السلام[٢] ، ففي عصر دولة السلاجقة[٣]

---

[١] – نيسابور :من مدن خراسان وإحدى عواصمها، كانت في العصر العباسي من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران وذلك قبل أن يدمرها زلزال سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، ثم أكمل خرابها التتار سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م ،و تقع نيسابور الآن في الجزء الشمالي الشرقي من إيران واسمها

أبرشهر .ياقوت الحموي: "ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله" معجم البلدان" ،دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ح٥ ص٣٣١،محمود شاكر شاكر :إيران،مؤسسة الرسالة،بيروت سنة١٩٧٥م،ص١٠.

[٢] – فاروق عبد المعطي: العزبن عبد السلام،سلطان العلماء،سلسلة أعلام الفقهاء والمحدثين،دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٩٣م،ص١١..

[٣] – دولة السلاجقة نسبة إلى سلجوق بن دقاق، والسلاجقة هم: مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم الغز، كانت تسكن الهضاب القريبة من بحر آرال، وتنزل بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين، ثم نزلوا إلى الأرض الإسلامية وأسلموا، وكونوا دولة قامت سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م، وأول ملوكهم طغرل بك. ابن خلكان:وفيات ==

اشتهر أبو نصر الكندري[١]فصار أول وزرائها ، ومما هو ثابت تاريخيًا أنه سبب المحنة التي وقعت للأشاعرة في مدينة نيسابور؛ فهو الذي حرَّض السلطان السلجوقي طغرلبك [٢]على إيذاء العلماء الأشاعرة هناك ، ولَعْنِهم ولعن مؤسس المذهب أبي الحسن الأشعري على المنابر في خطبة كل يوم جمعة.

==

الأعيان،ج٥ص٦٣ – ٦٨، ابن طبا طبا "محمد بن على" : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٢٧م ص ٢١٤، ٢١٥.

[١]) – الوزير الكبير عميد الملك، أبو نصرمحمد بن منصور بن محمد الكندري،ولدفي مدينة كندر – إحدى قرى نيسابور – سنة٤١٥ هـ/١٠٢٤م،:قدم بغداد ، وكان حنفيًا معتزليًا،وله النظم والنثر، وزر للسلطان طغرلبك ثم لألب آرسلان قليلا،أمر ألب أرسلان بمصادرته فأخذوا أمواله،وقتل صبرًا سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م،وكان يؤذي الشافعية ، ويبالغ في الانتصار لمذهب أبى حنيفة.ابن خلكان:وفيات الاعيان،ج٥ص١٣٨ – ١٤٣،الذهبي "محمد بن أحمد بن عثمان":سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من الأساتذة تحت إشراف: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م.ج١٨ ص ١٣ – ١٥.

[٢]) – أبو طالب: محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين، أول سلاطين السلاجقة، وتمت له السلطنة سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م، وظل فيها حتى وفاته سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٦٣م، وكان حليمًا كريمًا محافظًا على الطاعة وصلاة الجماعة، وكثير الصدقات، حريصًا على بناء المساجد. ابن الأثير"أبو الحسن على بن محمد":الكامل في التاريخ، راجعه،محمديوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت،ط(٤)٢٠٠٦م ج٨ ص٣٦٠-٣٦٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص١٥٥-١٦٠، ابن العماد الحنبلي" أبو الفلاح عبد الحي": شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري – بيروت ، بدون.ج٣ ص٢٩٤-٢٩٦.

وقد تسببت المحنة في خروج كبار علماء الأشاعرة من نيسابور إلى مكان آخر ، هربًا من بطش السلطان ، وإليك التفصيل والبيان:

كان طغرلبك رجلاً حنفيًا سنّيًا عادلا محبًا لأهل العلم ،وقيل عنه إنه كان ملتزمًا بالسنة ، محافظًا عليها ، مثل :صوم يومى الإثنين والخميس،وصلاة الضُّحى،والمؤسف أن هذا السلطان عين وزيرًا ظن فيه الخير والصلاح ، ولكن ظنه لم يكن صائبًا ؛ فكان الوزير أبو نصر منصور بن محمد الكندري المعروف بعميد الملك يظهر خلاف ما يبطن أمام السلطان ، والدليل على ذلك أنه كان السبب الرئيس في الفتنة والانشقاق الذي ظهر في نيسابور ، وعلى الرغم من ذلك لم يعزله السلطان ولم يبعده ، ليس هذا فحسب ، بل كان هذا الوزير خبيث العقيدة ، وكان له تعصب عظيم ، وحقد جسيم على علماء السنة والجماعة ، فقد وجه له بعض المؤرخين عدة اتهامات ، منها أنّه كان:"معتزليًا، رافضيًا، ومشبهًا لله سبحانه بخلقه ممّا هو شائع بين الكرامية والمجسمة".[١]

هذا الوزير قام بحَبْك مؤامرة ودبر خطة للتخلص من خصومه الأشاعرة في نيسابور الذين كان من الممكن أن يصلوا- بكفاءتهم - إلى منصب الوزارة

---

[١]) – ابن عساكر:تبيين كذب المفتري،ص١٠٨،السبكي "عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى": طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحى ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ط(١) ١٩٦٦م، ج٣ص٣٨٩.

بدلا منه[١]. كانت المؤامرة تقتضي أن يُزَيّن الوزير كلامه أمام السلطان بهالة من الحب للسنة، وكُرْه المبتدعة ، وجمَّل حديثه بلعنهم وإقصائهم دفاعًا عن الدين ورفْع راية الحق ونشرًا للآراء السليمة الصحيحة ؛ فاستحسن السلطان كلامه ورضى به وشجع عليه ، ثم استجاب له فصدر الأمر بذلك ، وهنا استغل الوزير الكندري هذا القرار، واتخذه ذريعة إلى ذكر الأشعرية ، بل وإضافتهم إلى قائمة المبتدعة المطلوب لعنهم ، وصار يقصدهم بالإهانة والأذى والمنع عن الوعظ والتدريس ، وعزلهم عن خطابة الجامع مستعينًا في ذلك بمجموعة من المعتزلة زعموا أنّهم يقلدون مذهب الإمام أبي حنيفة، فحببوا إلى السلطان الازدراء بمذهب الشافعي عمومًا ، وبالأشعرية خصوصًا، ومن هنا بدأت الفتنة تشتعل ، حيث بدأت مرحلة من الاختلاف والاضطراب في نيسابور، ليس هذا فحسب بل كبر شَرَرُها حتى ملأ الآفاق ، وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق ،وعظم خطبها وبلاؤها ،وقام في سب أهل السّنة الأشاعرة خطباؤها وسفهاؤها ، إذ أدى هذا الأمر إلى التصريح بلعن أهل السُّنة في الجُمَع، وتوظيف سبهم على المنابر ، واستعلى أُولئك السفهاء في المجامع والمراتب[٢]

فقام علماء الأشاعرة بالشكوى إلى السلطان، لكن الوزير أحاطه بالحُجَّاب ، بحجة أن ذلك زيادة في التبجيل ، فمنعوا العلماء من الدخول عليه ،

---

[١] – كان على رأس المرشحين للوزارة بدلا منه،أبو سهل ابن الموفق،الذي كان يعقد في داره مجالس ومناظرات علمية بصفة منتظمة؛وسنتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل ص٢١، ٢٢ من هذا البحث إن شاء الله.

[٢] – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١٠٨ ،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩١،.

وأعطى الوزير أوامره لهم بألا يدخل أحد على السلطان إلا بإذن منه ، وعلى الرغم من ذلك استطاع مجموعة من العلماء الأشاعرة مقابلة السلطان ، وبعد مناقشات وأخذ وردٌ،باء اللقاء بالفشل ، بعد أن صرَّح السلطان بأن أبا الحسن الأشعري- عنده- أسوأ من المبتدعة وأسوأ من المعتزلة في فِكْره ، وهنا تأكد الحاضرون أن السلطان مقدم على فعل شيء خطير ضدهم. [١]

وبالفعل صدر أمر من السلطان طغرلبك بالقبض على كبار العلماء الأشاعرة في نيسابور، وعلى رأسهم:الإمام أبو القاسم القشيري[٢]،وإمام الحرمين[٣] ، والرئيس الفراتي[٤] ونفيهم خارج نيسابور إلا أنه بعد أن قرئ

---

[١] – السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩١.

[٢] – سنخصص له سيرة خاصة في هذا البحث،ص٢٤ ، ٢٥.

[٣] – عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ، الملقب بإمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، رحل إلى بغداد وجاور بمكة والمدينة ، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها ، من مصنفاته : "غياث الأمم والتياس الظلم" ،و" العقيدة النظامية"،و " البرهان " في أصول الفقه ،وغيرها، وتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ص٤٦٨ – ٤٧٨ ،السبكى:طبقات الشافعية الكبرى،ج٥ص١٦٥، ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢ص١٢٨، ١٢٩ .

[٤] – أبو الفضل أحمد بن محمد بن أبي الفراتي،من بيت علم ، فأبوه هو:أبو عمرو الفراتي،وأخوه هو:الأمير أبو عبد الله سعيد بن محمد بن أحمد الفراتي ، وأبو الفضل وأخوه أبو عبدالله من أهم شيوخ الحافظ السمعاني.وقد توفى الرئيس الفراتي سنة ٤٤٦ هـ/ ١٠٥٤م. السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد):الأنساب ، تحقيق/ عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان بيروت ، ط(١) ١٩٩٨م ج٤ص٣٥٣، الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١٧ص٦٤٩.

قرار النفي، ذهب مجموعة من الأوباش والغوغائيين وأمسكوا بالإمام القشيري والرئيس الفراتي وجروهما إلى السجن.

وعندما قرأ أبوسهل بن الموفق[١] قرار السلطان تخفى في ضواحي البلدة قليلا ، وكوَّن مجموعة من أتباعه عارفين بالحرب ، وقرر إنقاذ الإمام القشيري والفراتي وباقي العلماء الأشاعرة من المعتقل بعد اقتحامه.[٢]

أما إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ، فحين أحسَّ بالأمر، خرج مهاجرًا إلى الحجاز ، وجاور هناك ، ومن هنا نال لقب "إمام الحرمين"، وبقى القشيري والفراتي مسجونيْن أكثر من شهر، فتهيأ أبو سهل ابن الموفق وجمع من أعوانه ، وطالب أولا بالإفراج عن القشيري والفراتي سلميًا حتى لاتحدث اشتباكات ، فهُدد بالقبض عليه ، طبقًا لمرسوم سلطاني صدر بحقه قبل ذلك ، فدخل البلاد وعزم على إخراجهما من السجن مجاهرة .

هجم أبو سهل وأتباعه على السجن ، وحدثت اشتباكات جرح بسببها متولي البلد ، فتوسط الناس بين الفريقين ، ونتج عن هذا خروج القشيري والفراتي من السجن ، وتوجه كل منهما إلى بيته ، بينما تشاور أبوسهل

---

[١]) – شيخ الشافعية ومحتشمهم، أبو سهل، محمد بن الإمام جمال الاسلام الموفق هبة الله ابن العلامة المصنف أبي عمر محمد بن الحسين البسطامي، ثم النيسابوري، زين أهل الحديث.انتهت إليه زعامة الشافعية بعد أبيه، وكان مدرسًا رئيسًا، ذكيًا، وقورًا، قليل الكلام، مات شابًا سنة ٤٥٦ هـ /١٠٦٣م عن ثلاث وثلاثين سنة،وأظهر عليه أهل نيسابور من الجزع ما لا يعبر عنه.الذهبي:سيرأعلام النبلاء،ج١٨ص١٤٣،١٤٢، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٤ص٢٠٨.

[٢]) – السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩١.

وأصحابه فيما بينهم وعلموا أنّ مخالفة السلطان لها تبعة ، وأنّ الخصوم لا ينامون ، فاتَّفقوا على ترك البلد والتوجه إلى ناحية من نواحيها .

وبقي بعض الأصحاب بالنواحي مفرقين ، وانتهى إلى السلطان ما جرى ، فسعى بأصحاب الشافعي وبأبي سهل خصوصًا ، وصدر أمر بالقبض عليه، وبعد اشتباكات قبض عليه وأُخذت أمواله وبيعت ضياعه ، ثمّ فرَّج عنه وخرج وحج.[١]

وبعد قراءة الصفحات السابقة، يتضح للقارئ، أن هذه الحادثة ترتب عليها ما يلي:

١)- تعرض أشاعرة نيسابور وما والاها للإهانة والأذى.

٢)- صدر قرار بمنعهم من الوعظ والتدريس، وعزلهم عن خطابة الجامع.

٣)- استبدال الموظفين الأشاعرة بطائفة من المعتزلة زعموا أنّهم على مذهب أبي حنيفة.

٤)- تعرض بعض الأشاعرة للمصادرة ، فأخذت أموالهم ، وعرضت ضياعهم للبيع.

٥)- تعرض بعضهم للحبس لمدد مختلفة .

٦)- اضطر العديد من كبار علماء الأشاعرة إلى الخروج من نيسابور وما والاها؛ فمنهم من ذهب إلى العراق ، ومنهم من ذهب إلى الحجاز للحج ،

---

[١]) – الذهبي:سيرأعلام النبلاء،ج١٨ص١٤٣، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٢ ،٣٩٣..

كان على رأسهم: الإمام أبو بكر البيهقي[١] ، والإمام أبو القاسم القشيري ، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني.

٧)- بالإضافة إلى أربعمائة قاضٍ- (لم تذكر المصادر أسماءهم)- من قضاة الشافعية والحنفية الأشاعرة ، اضطروا إلى هجرة بلادهم بسبب هذه المحنة، وتشتت فكرهم يوم رجوع الحاج ، فمن عازم على المجاورة ، ومن محيَّر في أمره لا يدري أين يذهب؟[٢].

٨) -استمرت هذه المحنة عشر سنوات- كما ذكر ابن عساكر[٣] - من(٤٤٥- ٤٥٥ هـ / ١٠٥٣ - ١٠٦٣م) ، وهوتاريخ وفاة السلطان طغرلبك.

---

[١]) – له ترجمة في ص٢٨ من هذا البحث.

[٢]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص٢٦٤،الذهبي:سيرأعلام النبلاء،ج١٨ص١٤٣،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٤ - ٤٢٣،ابن كثير:البداية والنهاية،ج١٢ص٧٠،عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين،المعتزلة،والأشاعرة،الإسماعيلية،القرامطة ؟،دارالعلم للملايين،بيروت ١٩٩٧م،ج١ص٦٨٣-٦٨٥.

[٣]) – تبيين كذب المفتري،ص٢٧٤، ٢٧٥.

العنصر الثاني: دراسة تاريخية تحليلية لأسباب المحنة.

اتفق المؤرخون على أن العلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور تعرضوا لفتنة، أدت إلى محنة كبيرة لهم ،كما أن هناك العديد من المؤرخين- كما يتضح من الصفحات السابقة- أثبتوا أن الوزير الكندري كان سبب هذه المحنة ، ولكنهم انقسموا في تعليل هذا السلوك من قبل الوزير إلى عدة آراء:

الأول:أن ما حدث تعصب مذهبي ، وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن ماحدث بين السلطة(السلاجقة) ممثلة في الكندري من ناحية، وبين الأشاعرة من ناحية أخرى سببه تعصب الوزير لمذهبه الحنفي ، فقد كان"كثير التعصب لمذهبه ، والذهاب مع عُصَبِه".[١]

لذلك فهو" شديدالتعصب على الشافعية ، كثير الوقيعة في الشافعي"[٢]؛ فالدافع عند أصحاب هذا الاتجاه يعود إلى الصراع بين المذاهب الفقهية ، ولما كان الأشعرية شافعية فقد غلف الكندري طعنه في الشافعية بغلاف الأشعرية حتى لا يتهم بالتعصب لمذهبه[٣].

الثاني:أن سبب ما حدث هو آراء الأشعري الفكرية، وقد أشار ابن الجوزي لذلك فقال[٤]: و"كان قد رفع إلى السلطان طغرلبك من مقالات الاشعرى

---

[١] – البنداري "الفتح بن على بن محمد": تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان ط(٢) ١٩٧٨م.ص٣١.

[٢] – ابن الأثير :الكامل في التاريخ،ج١٠ص٣٣.

[٣] – عبدالمجيد أبوالفتوح:التاريخ الساسي والفكري،ص١٠٩.

[٤] – المنتظم ،ج٨ص١٥٧.

شيء" ،دون أن يحدد ما الشيء الذي رفع لطغرل بك ،غير أن بعض المؤرخين الآخرين[١] ذكروا هذا الشيء الذي رفع للسلطان ، وهو رأي الأشعري في قضية "الكلام الإلهي" [٢] ، وأن طغرلبك قد علق على هذا الرأى بقوله : إن هذا يُشعر بأن ليس لله في الارض كلام ، وعندما دخل علية أبو القاسم القشيري وجماعة من الأشعرية يلتمسون منه رفع اللعنة عن الاشعرى قال لهم : الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة ؛ لأن المعتزلة أثبتوا أن القرآن في المصحف وهذا نفاه ، غير أن أصحاب الأشعري الموجودين عند السلطان دافعوا عنه ، وقالوا : هذا محال ، وليس بمذهب له ؛ إلا أن طغرلبك لم يقتنع ، فأمر بلعن أبي الحسن الأشعري بسبب ذلك.

ولكنا نلاحظ ان ابن الجوزي كان حنبليًا متعصبًا ، و كان متحاملا على الأشعرية شامتًا فيهم[٣].

الثالث: أن السبب الرئيسي هو الوزيرالكندري، وأصحاب هذا الاتجاه يُحَمِّلون الوزير الكندري كل ما حدث للأشاعرة من تعب ومشقة واعتقال وتعذيب أثناء المحنة التي بدأت سنة ٤٤٥ هـ/ ١٠٥٣م،لأن الوزير

---

[١] – ابن كثير :البداية والنهاية ،ج١٢ص٧٠،ابن تغرى بردي"أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى": النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب المصرية ، القاهرة2005 ، ج٥ ص٥٤.

[٢] – المقصود بالكلام الإلهي:أن العبارات والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة– عليهم السلام–دلالات على الكلام الأزلي،والدلالة مخلوقة محدثة،والمدلول قديم أزلي.الشهرستاني:الملل والنحل،ج١ص٩٦.

[٣] – عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١٠٩.

كان"معتزليًا رافضيًا"[١]، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان:"مشبهًا مُجَسِّمًا"،[٢]وأن طغرلبك لم يأمر بلعن أبي الحسن الأشعري ، وإنما أمر بلعن المبتدعة على المنابر كل يوم جُمْعة ، وإذا بالوزير الكندري يُقْرِن اسم الأشعري والأشعرية بأسماء أرباب البدع ، ليس هذا فقط ، بل أتبع هذا الأمر بامتحان الأئمة الأشاعرة ، وعزلهم عن الخطابة في نيسابور وفوضها إلى بعض الحنفية الذين استعان بهم آنذاك ، وكان قصد الوزير من ذلك هو التَّسَلِّي والتَّشَفِّي من الأشاعرة . [٣]

ومال إلى هذا الاتجاه الأستاذ أحمد أمين الذي ردد ما قاله المؤرخون ذووا الميول الأشعرية ، واتهم الكندري بأنه كان شيعيًا معتزليًا متعصبًا ، وأنه أشار إلى طغرلبك بلعن المبتدعة على المنابر ، ودسَّ عنده أن الأشعرية ضمن المبتدعة ، وأنه استعان في حربهم بالحنفية ؛ لأن معظم الأشاعرة كانوا شافعية.[٤]

وقد شكك أحد المؤرخين المُحْدَثِين في رأي أصحاب هذا الاتجاه لسببين:

الأول:أن الذين اتهموا الكندري بذلك ـ (رافضي معتزلي) ـ من المؤرخين القدماء هم من الأشاعرة كابن عساكر والسبكي ، وأن الذين اتهموه بذلك من المُحْدَثِين إنما رددوا أقوال المؤرخين الأشاعرة ، مع ملاحظة أن

---

[١] – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١٠٨.

[٢] – السبكي:طبقات الشافعية الكبري،ج٣ص٣٨٩، ٣٩٠.

[٣] – ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج١٠ص٣٣.

[٤] – ظهر الإسلام،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط(١)،٢٠٠٤م،ج٤ص٦٢.

المؤرخين الذين التزموا الحياد لم يتهموا الرجل بشئ من ذلك كالبنداري وابن الأثير.

الثانى: أن رواية ابن الأثير تشير إلى أنه خاطب السلطان في لعن المبتدعة (ومنهم الرافضة) على منابر خراسان ، ولو كان رافضيًا كما يقول الأشاعرة ما أقدم على هذه الخطوة ؛ لأنه من المفترض أنه منهم.

ومما يؤكد نفي التهمة عن الرجل ، أن السبكي قد وصمه بجملة مذاهب متناقضة متعارضة فهو عنده (معتزلي ، رافضى ، و مُجَسِّم)، مع مابين المعتزلة والمجسمة من تناقض صارخ ، فالمعتزلة هم أهل التنزيه المطلق، والمشبهة هم أهل التجسيم[١]

الرابع: آراء أخرى.

أ)- وقيل إن سبب اضطهاد الشافعية في عصر طغرلبك، أنهم رتبوا علم الكلام بقصد الرد على الرافضة ، وفي هذا العلم تتخذ الأدلة العقلية أساسًا للحكم على المسائل الدينية ، كما أن لعلوم اليونان منزلة عالية ، وهذا كله في نظر السلاجقة من قبيل "البدع الضارة المخلة بالتعاليم الدينية لأهل السنة"[٢].

وما ذكره بارتولد -(صاحب الرأي السابق) - لا يمكن أن يقبل إلا إذا كان الذي قد قام بعملية الاضطهاد حنبلي، فالحنابلة (أتباع مذهب الإمام أحمد

---

[١]) - عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١١٢.

[٢]) - بارتولد: فاسيلي فلاديميرويج: تاريخ الترك في آسياالوسطى،ترجمة:أحمدالسعيد سليمان،مكتبةالأنجلوالمصرية،القاهرة١٩٥٨م،ص١٠٨.

بن حنبل)هم الفئة الكبرى التى وقفت بعناد وإصرار ضد علم الكلام ومسائلة ، وهذا لم يحدث بالنسبة للسلاجقة فهم أحناف ماتريدية ، ولو أنهم كانوا أهلا للنظر والفكر في هذه الفترة المبكرة لوجدوا التقارب الشديد بين المنهج الذى سلكه أبو منصور الماتريدى ومنهج الأشعرى فكلاهما سعى إلى إيجاد صيغة وسط بين منهج السلف، وأصحاب الاتجاه العقلاني ، وبين هذين المذهبين (أعنى الأشعرية والماتريدية) لا توجد فروق جوهرية[١].

ب)- أما الأستاذ زهدى جار الله[٢] ، فيذهب إلى أن المعتزلة قد غلبوا على طغرلبك عن طريق وزيره الكندري الذي كان معتزليًا متحمسًا للاعتزال ، مبغضًا لمخالفيه ، فقدَّم جماعة المعتزلة ، واستعان بهم في إدارة شئون الدولة ، وأنه أخذ يكيد للأشاعرة ، ولأهل السنة عامة ، فحسَّن للسلطان لعن المبتدعة على المنابر ومن بينهم الأشعرية ، ثم انتهى به الأمر إلى لعن الأشعرية والشافعية ، وأهل السنة جميعا.

وليس من جديد في هذا الرأى ، إلا أن الكندري قد انتهى به الأمر إلى لعن أهل السنة جميعا . وهذا محال في ظل سلطان سنى. [٣]

---

[١]) – عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١١١.

[٢]) – المعتزلة،الدارالأهليةللنشروالتوزيع،بيروت،ط(٢)١٩٧٤م،ص٢١٤.

[٣]) – عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١١١.

وقد انفرد السبكي بذكر عاملين مهمين هما سبب المحنة وهما:

الأول: سياسي (خوف الكندري على كرسي الوزارة)

وقد اتضح هذا من كلام السبكي عندما أشار إلى خوف الوزير الكندري على كرسي الوزارة ،لأن رئيس الشافعية بنيسابور أبو سهل ابن الموفق، كان له وضع مرموق في المدينة كما أشرنا سابقًا[١]، وحين ذاع صيته أكثر فأكثر "(...) عظم ذلك على الكندري (...) ، ومن ابن الموفق بخصوصه ، وخشيته من أن يثب على الوزارة ، فحسَّن للسلطان لعن المبتدعة، فاتخذ الكندري ذلك ذريعة إلى ذكر الأشعرية".[٢]

القضية إذن – على حسب كلام السبكي– سياسية، سببها شهرة ابن الموفق الكبيرة في البلدة ، فخاف الوزير على منصبه ، ودبر هذه المؤامرة لخصمه ومنافسه كما تصور ، وبما أن هذا الخصم أشعري شافعي يجتمع حوله العلماء ، فلِمَ لا يسعى الكندري إلى التنديد بالشافعية والأشعرية حتى ينال من خصمه عند السلطان ، خاصة وأن أسرة أبي سهل كانت على صلة – فيما يبدو – بطغرلبك ؛ إذ يذكر البنداري[٣] أن الذي رشح الكندري لطغرلبك هو الموفق والد أبي سهل.

---

[١]) – ص ١٥، من هذا البحث.

[٢]) – طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٠.

[٣]) – تاريخ دولة آل سلجوق،ج١٠ص٣٣.

الثاني: مذهبي

ومع وضوح العامل السياسي في هذه الخصومة – كما تشير إليه رواية السبكي – فإنا لا نستطيع ان نغفل أبدًا أن الكندري كان حنفيًا متعصبًا ، وأن أبا سهل الموفق ومن حوله كانوا شافعية ، والصراعات المذهبية كانت موجودة ثم ازدادت حدة خلال النصف الثانى من هذا القرن. [١]

يقول السبكي في حق ابن الموفق إنه كان:"جوادًا ذا أموال جزيلة ، وهبات هائلة ، وداره مجتمع العلماء ، ملتقى الأئمة من الفريقين: الحنفية والشافعية، في داره يتناظرون، وعلى سماطه يتلقمون (يأكلون)، وكان عارفًا بأصول الدين على مذهب

الأشعرى ، قائمًا في ذلك ، مناضلاً في الذب عنه، فعظم ذلك على الكندري بما في نفسه من المذهب". [٢]

وبهذا يكون السبكي وضع أيدينا على الأسباب الحقيقية لهذه المحنة ، وبيَّن سر هذه الخصومة بين الكندري والأشعرية والشافعية .

ولكن، لماذا أقحم الوزير الكندري المعتزلة في هذه الواقعة ؟

إذا كان الكندري قد استغل المعتزلة في حربه ضد الأشاعرة ، فليس سبب ذلك أن الرجل كان معتزليًا كما اتهمه البعض ، وإنما سبب ذلك ـ كما أرى ـ أن المعتزلة كانوا الفئة التى يمكن الاستعانة بها في حرب الأشاعرة في نيسابور ـ وغيرها من المدن ـ لسببين :

---

[١]) – عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١١٣.

[٢]) – طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٠.

الأول: أنهم الخصوم التقليديون للأشاعرة ، ولهم القدرة على الجدل والمناظرة

والثاني: أن معظم المعتزلة في نيسابور كانوا أحنافًا ، فهم من الناحية المذهبية المحضة كانوا أعداء للأشاعرة الذين يشكلون جمهور الشافعية.

لذلك فنحن نرى أن الكندري لم يكن معتزليًا ولا رافضيًا ، وأن هجمته على الأشاعرة كانت لدوافع سياسية مذهبية.

أما بالنسبة للسلطان طغرلبك، فلم يكن له من الثقافة ما يؤهله للنظر في المذاهب الكلامية حتى يعين فريقًا على فريق ، وإذا كان هناك ما يمكن أن يغري هذا السلطان بالحملة على الأشاعرة ، فليس هناك إلا شئ واحد هو : مخالفتهم له فى المذهب ، فهم شافعية وهو حنفي ، ومعظم سلاطين آل سلجوق كانوا متعصبين لهذا المذهب[١].

[١]) – عبد المجيدأبوالفتوح:التاريخ السياسي والفكري،ص١١٣.

العنصرالثالث: من جهود كبارالعلماء الأشاعرة في الدفاع عن مذهبهم. (الإمام القشيري،والإمام البيهقي).

ولقد تضافرت أقوال أئمة الإسلام وتواترت فتاويهم في التشنيع على من تطاول على مقام الإمام الأشعري وعلماء الأمة ، وأوجبوا على ولاة أمور المسلمين معاقبتهم، ومن هذه الجهود ما يلي:

١)- رسالة الإمام القشيري إلى البلاد،ومحتواها.

هو:عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، الشافعي الصوفي المفسر، من العرب الذين استوطنوا خراسان[١]، ولد عام ٣٧٦ هـ /٩٨٦م ،وهو من أشهر رجال الصوفية في عصره، ومن أشهر أعلام الأشاعرة الذين نشروا المذهب من خلال المجالس العلمية والمصنفات.

---

[١]) – السمعاني:الأنساب،ج٢ص١٣٠ ،وخراسان: كلمة فارسية معناها بلاد الشمس المشرقة (أي الشرق) ، وكان يتبعها من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر وسجستان (أفغانستان الحالية)، وفي أيام العرب كان هذا الإقليم ينقسم إلي أربعة أرباع هي: نيسابور ، ومرو، وهراة ، وبلخ،والإقليم الذي يعرف الآن باسم خراسان–(في إيران)– يضم أقل من نصف خراسان القديمة،أما بقية الإقليم فتابع لأفغانستان،عدا المنطقة الممتدة من مرو حتى نهر جيحون فتدخل فيما يعرف الآن بدولة تركمانستان.ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٢ص٤٠٩،كي لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة:بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤م ،ص423.

وذكره ابن عساكر فقال [١]:كان يعقدالمجالس للوعظ إلا أنه أحد المتكلمين على مذهب الأشعري ، والفروع على مذهب الشافعي ، وكانت له مجالس في الحديث.

غادر القشيري خراسان منفيًا إلى بغداد أثناء وقوع الفتنة ، وباشر نشاطه العلمي هناك من خلال مجالسه ، إلا أنه عاد إلى نيسابور عندما هدأت الفتنة لما تولى ألب أرسلان الحكم.

من أشهر مؤلفاته:" الرسالةالقشيرية" في التصوف ، و كتاب " لطائف الإشارات – وهو تفسير القشيري" وهو من أجود التفاسير، وعلى الجملة ، كان علامة في الفقه و التفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وتوفى عام ٤٦٥ هـ /١٠٧٣م.[٢]

وعن معاناته أثناء وقوع المحنة يقول ابن عساكر: "ومن جملة أحواله ما خصَّ به من المحنة في الدين والاعتقاد ، وظهور التعصَّب بين الفريقين في سنة خمس وأربعين إلى خمس وخمسين وأربعمائة وميل بعض الولاة إلى الأهواء ، وسعي

---

[١]) – تبيين كذب المفتري،ص٢٧٢.

[٢]) – ابن عساكر: تبيين كذب المفتري،ص٢٨٠ ،٢٨١، ابن الجوزي:المنتظم ،ج٩ ص١٨ ، ١٩،ابن خلكان :وفيات الأعيان ،ج٣ص١٦٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج١٨ص٢٢٧ – ٢٣٣،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٥ص١٧٥ ،١٧٦،إبراهيم بسيوني:الإمام القشيري،سيرته،وآثاره،ومذهبه في التصوف،القاهرة سنة ١٩٧٢م،ص١٨٩.

بعض الرؤساء والقضاة إليه بالتخليط ، حتى أدى ذلك إلى رفع المجالس ، وتفرق شمل الأصحاب ، وكان هو المقصود من بينهم حسدًا ، حتى اضطرته الحال مفارقة

الأوطان ، وامتد في أثناء ذلك إلى بغداد ، وورد على أمير المؤمنين القائم بأمر الله-(422هـ467 - هـ/ ١٠٣١- ١٠٧٥م)-، ولقي فيها قبولًا ، وعقد له المجلس في مناظرة الخاصة به ، وكان ذلك بمحضر ومرأى منه ، ووقع كلامه من مجلسه الموقع ، وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه".[١]

•ولقدكتب الإمام أبو القاسم القشيري رسالة مفتوحة أرسل منها نسخًا إلى العلماء الأعلام بجميع بلاد الإسلام عام ٤٤٦ هـ/١٠٥٤م، يشكو فيها عمّا حلّ بأبي الحسن الأشعري والأشاعرة من المحنة ، وعنوان الرسالة:"شكاية أهل السنّة بحكاية ما نالهم من المحنة"[٢]،ولقد تضمنت عدة نقاط منها:

---

[١]) – تبيين كذب المفتري،ص٢٧٤ ،٢٧٥،وفي نص ابن عساكر دليل على أن هذه المحنة اشتعلت عشر سنين متتاليات-(٤٤٥- ٤٥٥ هـ / ١٠٥٣ – ١٠٦٣م)-،بعدها بدأت في الهدؤ مع تولي ألب أرسلان السلطنة، ونظام الملك الوزارة، وانظر-أيضًا- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى،ج٥ص١٥٧.

[٢]) – قال السبكي: طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٠٠،وتقع الرسالة في هذا الجزء من ص٤٠٠ إلى ص٤٢٣.

– الديباجة الأولى للرسالة وتضمنت حمد الله على البلاء ، وأنه كتب هذه الرسالة وسماها:"شكاية أهل السنّة بحكاية ما نالهم من المحنة"... وهى عبارة عن: "بثّة مكروب ونفثة مغلوب".[١]

ثم ذَكَرَ أن سبب الرسالة هو:الفتنة التي بدأت في نيسابور سنة ٤٤٥ هـ/١٠٥٣م، وما نال العلماء الأشاعرة بسببها.[٢]

– وبعد هذا يمدح أبا الحسن الأشعري وأتباعه ، ويبرؤهم من التُّهم الموجهة لهم ، ويثمِّن دور الأشعري في القضاء على البدع وإحياء السنة، فيصفه بـ:"إمام الدين، وسراج ذوي اليقين، محيي السنّة، وقامع البدعة، وناصر الحق، وناصح الخلق، الزكي الرضي، أبي الحسن الأشعري، قدس الله روحه وسقى بالرحمة ضريحه، وهو الذي ذب عن الدين بأوضح حجج ، وسلك في قمع المعتزلة ، وسائر أنواع المبتدعة أبين منهج ، واستنفد عمره في النضح عن الحق ، فأورث المسلمين بعد وفاته كتبه الشاهدة بالصدق" ،... كما توضح الرسالة أن هناك من لفقوا التهم والأكاذيب للأشعري وأتباعه، وأن علماء الأشاعرة رفعوا محضرًا ـ شكوى ـ للسلطان

---

[١]) – ابن عساكر:تبيين كذب المفتري،ص١١٠، وأشار إليها ابن تيمية في مجال مهاجمته للأشاعرة." تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي": التسعينية، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، المملكة العربية السعودية،ط(١)، ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م،ج٣ص٨٩١– ٨٩٣،السبكي: طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٠٠،

[٢]) – ابن عساكر:تبيين كذب المفتري،ص١١١،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٠١.

شرحوا فيه أصول المذهب الأشعري ، والتي هى أصول مذهب أهل السنة والجماعة ، إلا أن كلمتهم لم يُستجب لها"[١]

– ثم وضَّح الإمام القشيري أصول مذهب الأشعري والتي جاءت وسطًا بين أصول المعتزلة وأصول أهل الحديث ، ومن لطيف ما جاء في ذلك قوله:

"وما نقموا من الأشعري إلاّ أنّه قال بإثبات القَدَر لله ، خيره وشره، ونفْعه وضرِّه، وإثبات صفات الجلال لله، من قدرته، وعلمه، وإرادته، وحياته، وبقائه، وسمعه، وبصره ، وكلامه، ووجهه، ويده، وأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّه تعالى موجود تجوز رؤيته– (في الآخرة)–، وأنّ إرادته نافذة في مراداته، وما لا يخفى من مسائل الأُصول التي تخالف (طريقه) طريق المعتزلة والمجسمة فيها(...) وقد وعد الله للحق نصره وظهوره وللباطل محقه وثبوره ، ألا إنّ كتب الأشعري في الآفاق مبثوثة، ومذاهبه عند أهل السنّة من الفريقين معروفة مشهورة، فمن وصفه بالبدعة علم أنّه غير محق في دعواه، وجميع أهل السنّة خصمه فيما افتراه".[٢]

ثم ختم الإمام القشيري رسالته بالإجابة عن سؤال محتمل ، وهو لماذا أطال في شرح أصول المذهب الأشعري؟ والإجابة هى: لتصل واضحة للسلطان السلجوقي طغرلبك ، ووزيره أبي نصر الكندري، وتصل أيضًا لخصوم

---

[١]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١١٢ ، ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص١٠٠٤ ،١٠٠٥،السبكي: طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٠١–٤٠٥،.

[٢]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١٤٩ وما بعدها،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٠٦.

الأشاعرة ، بل ولأتباع المذهب الأشعري على مرِّ الزمان ، وحث علماء الأشاعرة على القيام بواجبهم ؛ فقد قال في مختتم الرسالة:

"(...)، أثبتنا هذه الفصول في شرح هذه الحالة، وأوضحنا صورة الأمر، بذكر هذه الجملة، ليضرب كل أهل السنّة، إذا وقف عليها، بسهمه، في الانتصار لدين الله عزّ وجلّ، من دعاء يخلصه، واهتمام يصدقه،(...)،بركات الله وصلواته على سيدنا محمد المصطفى و على آله وسلم تسليمًا "[1].

• ومن جهود الإمام القشيري في هذا أيضًا هذه الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم:"اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري– رضي الله عنه – كان إمامًا من أئمة أصحاب الحديث ،ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ،وردَّ على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان من المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفًا مسلولا، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبَّه، فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة(...). [2]

---

[1]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١١٢، ابن الجوزي:المنتظم،ج٨ص١٥٧، ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص١٠٠٤– ١٠٠٧،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٤٢٣،

[2]) – بقى هذا البيان مدة زمنية طويلة يوقع عليه كبار العلماء الأشاعرة وغيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى.نص هذا البيان وأسماء الموقعين عليه عند ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١١٢–١١٤،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٧٤.

٢)- رسالة الإمام أبي بكر البيهقي إلى الوزير الكندري

هو الحافظ العلامة شيخ خراسان : أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ولدسنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤م،وشب ورحل في طلب العلم إلى العديد من بلدان العالم الإسلامي، وتتلمذ على العديد من المشايخ ، وله مصنفات في السنن والآثارمنها : كتاب معرفة السنن والآثار ، وكتاب السنن الكبير، وكتاب المبسوط في فروع الفقه عشرون مجلدًا ، ونصوص الشافعي عشرة مجلدات،وتوفى عام ٤٥٨ هـ /١٠٨٥م.[١]

<u>محتوى الرسالة:</u>

حين دخلت نُسَخ من رسالة القشيري مدينة بيهق[٢] واطلع عليها الإمام أبو بكر البيهقي شقَّ عليه ما نال الأشاعرة وإمامها ، وكان محدث زمانه وشيخ السنة في وقته ، فاستجاب لها فورًا وكتب رسالة قوية وجهها إلي الوزيرالكندري نفسه فهو المتسبب في محنة الأشاعرة التي نحن بصدد بحثها[٣] .

---

[١] – ابن عساكر"تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق:علي شيري،دار الفكر للطباعة،بيروت،ج٨ص٢٤٣،ابن خلكان:وفيات الاعيان ج١ص٧٦،٧٥،الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١٨ص١٦٣-١٦٩،السبكي:طبقات الشافعيةالكبرى،ج٤ ص٨- ١٦.

[٢] – بيهق:منطقة قديمة من نواحي نيسابور بخراسان تقع غربها، وهي الآن إحدى المدن الإيرانية واسمها"سبزوار"، تقع في محافظة خراسان ، شمال شرق إيران، وتبعد حوالي ٢٥٠كم إلى الغرب من مدينة مشهد..ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج١ص٥٣٧، ٥٣٨، محمود شاكر شاكر:إيران ،ص١٠.

[٣] – السبكي :طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٩.

– تبدأ الرسالة بإلقاء السلام على الوزير ثم حمد الله والثناء عليه ، ثم ذكَّر الوزير بأن المُلْك يؤتيه الله من يشاء من عباده ، كما تضمنت بداية الرسالة التذكرة بفضل الحاكم العادل ، ثم هى تمدح الوزير ، وتنوه بحسن رعايته وسياسته بلاد خراسان التي أدت إلى الصلاح بعد الفساد ، وإلى الأمن بعد الخوف ، ثم تطرقت إلى دوره في القضاء على أهل البدع وبخاصة الروافض ، فقد جاء فيها أنه:"صرف همته العالية إلى نصر دين الله ، وقمع أعداء الله بعد ما تقرر للكافة حسن اعتقاده بتقرير خطباء أهل مملكته على لعن من استوجب اللعن من أهل البدع ببدعته ، وأيس أهل الزيغ عن زيغه عن الحق وميله عن القصد".[١]

– ثم ينتقل الإمام البيهقي من ـ خلال الرسالة ـ إلى القول بأن هناك خصومًا نقلوا للوزير صورة مشوهة لأبي الحسن الأشعري ومذهبه ، وذلك بقصد التشفي من العلماء الأشاعرة الذين هم من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى،فهم:"لا يذهبون في التعطيل مذاهب المعتزلة ، ولا يسلكون في التشبيه طرق المجسمة" ؛(...) ثم يَرْجو الله ـ تعالى ـ أن يوفق الوزير في الوقوف على حقيقة الأمر، ويلقي القبض على من زوَّر الأكاذيب على الأشعري ، ويقوم بتعزيره ليكون عبره لغيره،فيقول:" ونحن نرجوا عثوره عن قريب على ما

---

[١]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١٠١، السبكي :طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٦.

قصدوا ، ووقوفه على ما أرادوا فيستدرك ، بتوفيق الله ما بدر منه فيما ألقى إليه ، ويأمر بتعزير من زور عليه وقبح صورة الأئمة بين يديه"[١] .

– وبعدها ينتقل البيهقي للحديث عن فضل أبي الحسن الأشعري وعراقة نسبه العربي ومكانة الأشعريين زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثنائه عليهم ، فقد كان منهم الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري ، كما هو موضح في السنة الصحيحة ، والذي جاء من نسله أبو الحسن الأشعري ؛ ثم يذكر دوره في الدفاع عن السنة وأهلها مؤكدًا أنه لم يأت ببدعة أومذهب جديد ، بل إنه أخذ أقوال الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم ودافع عنها ، ووضحها بالشرح والتبيين ، فهو مجدد الأمة في وقته ؛ ثم أخذ البيهقي يشرح العديد من مسائل أصول مذهب الأشاعرة ؛ ومماجاء في هذه الرسالةعن الأشعري أنه: "(...) لم يُحْدِثْ في دين الله حدثًا ، ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين، فنصرها بزيادة شرح وتبيين،(...)".

ثم أوضح الإمام البيهقي أن أصول مذهب الأشعري مبنية على أقوال الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم من علماء أهل السنة كما مرَّ أعلاه، وضرب الأمثلة على ذلك بأنه:

١)– اعتمد على أقوال من مضى من الأئمة الفقهاء: كأبى حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من أهل الشام، ومالك والشافعى

[١]) – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص١٠١، ١٠٢، السبكي :طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٦.

من أهل الحرمين، ومن نحا نحوهما من أهل الحجاز، وغيرها من سائر البلاد.

٢)- ومن المحدثين ، كأحمد ابن حنبل وغيره من أهل الحديث ، والليث بن سعد وغيره، وأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ، إمامى أهل الآثار وحفاظ السنن التى عليها مدار الشرع .

إلى أن قال ـ بعد ذكره لبعض الأحاديث في فضل الأشعريين ـ :" فمن تأمل هذه الأحاديث وعرف مذهب شيخنا أبى الحسن في علم الأصول وعرف تبحره فيه أبصر صنع الله عزت قدرته في تقديم هذا الأصل الشريف ؛ لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة ، وجعله خلف حق لسلف صدق"[١]

- وفي نهاية الرسالة يدعو الإمام البيهقي للوزير بأن يوفقه الله في القضاء على هذه الفتنة ، وإعادة منزلة العلماء الأشاعرة الأفاضل ،ويسمح لهم بالعودة من منفاهم إلى نيسابور[٢].

وفي تعقيبه على رسالة البيهقي قال السبكي:"وقد تضمن هذا الكتاب وقائله من علمت من الحفظ والدين والورع والاطلاع والمعرفة والثقة والأمانة والتثبت، أن الصحابة ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة، فقهائها

---

[١]) – ابن عساكر: تبيين كذب المفتري،ص١٠٣، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٨،٣٩٧.

[٢]) – ابن عساكر:تبيين كذب المفتري،ص١٠٨، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٩.

ومحدثيها على عقيدة الأشعرى، بل الأشعرى على عقيدتهم ، قام وناضل عنها وحمى حوزتها من أن تنالها أيدى المبطلين وتحريف الغالين، وقد سمى من الفقهاء والمحدثين من سمعت".[١]

[١]) – السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٩.

العنصرالرابع: أثرتحركات علماء نيسابور على العلماء خارجها.

علمنا سابقًا أنّ فتيل الفتنة كان هو الوزير الكندري المعروف بعميد الملك، ويظهر فيما ذُكِرَ من استفتاءات ورسائل أُخر، بقاء الفتنة حتى بعد وفاة طغرل بك(٤٥٥ هـ/١٠٦٣م) ،وتولي السلطان"ألب أرسلان"[١] مقامه ، وتصدِّى "نظام الملك"[٢]للوزارة.

ولقد كان لرسالتى الإمامين القشيري والبيهقي ، أثر كبير على الأشاعرة خارج مدينة نيسابور موطن المحنة ، ووجدتا صدى لهما ؛ فاستجاب لهما كبار العلماء هناك ، ليس من الأشاعرة فقط ، بل ومن علماء المذهب الحنفي والمالكي والشافعي ؛ وكذلك من المحدثين ، وفروع العلوم الأخرى ،

---

[١] – أبو شجاع محمد بن داود بن مكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب "عضد الدولة" ألب أرسلان، استولى على الممالك، وعظمت سطوته وفتح البلاد، وخطب له على منابر العراق والعجم وخراسان، وأحبته الرعايا ولا سيما لما هزم العدو فى معركة ملاذكرد عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، وتوفى عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وله أربعون سنة. ابن خلكان: وفيات الأعيان ح٥ ص٦٩-٧١ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء،ح١٨ ص٤١٤-٤١٧.

[٢] – نظام الملك – (٤٠٨ – ٤٨٥هـ/١٠١٨ – ١٠٩٢م) – أبو على الحسن بن على بن إسحاق الطوسي، أصله من نواحيها، وتأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير، واشتغل بالأعمال السلطانية فاتصل بالسلطان ألب أرسلان فاستوزره فأحسن التدبير، وبقى فى خدمته عشر سنين، ثم خدم ابنه ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك، اغتاله ديلمى على مقربة من نهاوند. ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ،ح١٠ ص٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ح٢ ص١٢٨، ، الزركلى "خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقى": الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ط(١) ٢٠٠٢م ح٢ ص٢٠٢.

حيث جاءت مواقفهم ورسائلهم وإجاباتهم ثمرة لذلك ، ولنضرب أمثلة على هذا :

أ)- فقدأجاب قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني[١] الحنفي على سؤال ورده ببغداد ونصه: "ما قول السادة الجُلَّة، الأئمة الفقهاء، أحسن الله توفيقهم، ورضي عنهم،

في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعرية وتكفيرهم ، ما الذي يجب عليهم في هذاالقول؟ تفتونا في ذلك منعمين مثابين .

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ :أن كل من أقدم على لعن فرقة من المسلمين وتكفيرهم، فقد ابتدع وارتكب ما لا يجوز الإقدام عليه ، وعلى الناظر في الأمور ـ أعز الله أنصاره ـ الإنكار عليه ، وتأديبه بما يرتدع هو وأمثاله عن ارتكاب مثله" [٢].

---

[١] – محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسويه الدامغاني الحنفي،ولد بدامغان سنة ٣٩٣ هـ/١٠٠٢م ، كان ذا جلالة وحشمة وافرة إلى الغاية، ينظر بالقاضي أبي يوسف في زمانه.وفي أولاده أئمة وقضاة، ولي قضاء القضاة ، سنة٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م، وله خمسون سنة،وتوفى سنة ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م ، وله أصحاب كثيرون علماء، انتشروا في البلاد. الذهبي: سير أعلام النبلاء،ح١٨ ص٤٨٥، ٤٨٦،ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب ج٣ص٣٦٢.

[٢] – ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص٣٣٢،ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص٨٨٧، ٨٨٨،السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٧٥.

ب)- وفي رد فعله حين وصلت نُسَخ من رسالة الإمام القشيري إلى بغداد، كتب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[١] ـ رحمه الله ـ :"الأشعرية أعيان أهل السنّة ، ونُصَّار الشريعة ، انتصبوا للرد على المبتدعة - من القدرية والرافضة وغيرهم - ، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنّة، وإذا رُفِع أمرُ من يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين ، وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كلّ أحد". [٢]

ج)- ومن جهود الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في هذا الشأن، جوابه لاستفتاء ورده فكتب :"وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنّة ، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، و مذهبه مذهب أهل الحقّ" ،وقام بالتوقيع على هذا الكلام عدد كبير من أعلام العصر، من حنابلة وأحناف وغيرهم؛

---

[١]) - إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازي- نسبة إلى شيراز، وهي قصبة بلاد فارس- شيخ الشافعية في زمانه، ولد عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، ودخل بغداد عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م، وصار أنظر أهل زمانه، وكان يضرب به المثل في الفصاحة، وانتهت إليه رئاسة المذهب في الدنيا،وكان مرجعًا للطلاب، ومفتى الأمة في عصره، من أشهر مصنفاته: المهذب، والتنبيه، واللمع في أصول الفقه، وطبقات الفقهاء وغير هذا، وتوفى عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م. ابن خلكان:.وفيات الأعيان ح١ ص٢٩، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ح٤ ص٢١٥، السيوطي : لب اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق / محمد أحمد عبد العزيز ، وأشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م ، ج١ص٥١

[٢]) - ابن عساكر :تبيين كذب المفتري،ص٣٣٢، ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص٨٨٨، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٧٦،٣٧٥.

ويظهر من كلام السبكي[١]، أنّ هذا الاستفتاء بقي زمانًا بين يدي العلماء كُلما جاءت أُمّة منهم كتبت بالموافقة.

د)- وقد كتب مثله محمد بن أحمد الشاشي[٢] تلميذ الشيخ أبي إسحاق ، وهذا الاستفتاء أشار إليه السبكي في طبقات الشافعية ، في ترجمة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقال: "سنحكي إن شاء الله هذاالاستفتاء والأجوبة عند انتهائنا إلى الطبقة الخامسة[٣]"، ولكنّه لم يف بوعده.

هـ)- وفي ظل استمرار سبِّ الأشعري والأشاعرة ، وحين بلغ السيلُ الزُّبي حتى في وجود "ألب أرسلان" ، والوزير"نظام الملك"، قام أعاظم الأشاعرة وكتبوا محضرًا ـ شكوى ـ ووجهوه إلى الوزير "نظام الملك" ، وقد حمل

---

[١]) – طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ ص٣٧٦.

[٢]) – أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن حامد الشاشى– الشاش من ثغور الترك وراءنهرسيحون– ولد عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، ونشأ ببلده، ثم رحل إلى مدينة "غَزْنَة"،فحصل له إقبال زائد، وكان من أنظر أهل زمانه، وأقام بغزنة، وولد بها أولاده وظهرت تصانيفه، ثم استدعاه نظام الملك إلى مدينة "هَرَاة" فشق ذلك على أهل غزنة لما رأوا من علمه، ولكن لم يجدوا بُدًا من امتثال أمر الوزير، فجهزوه مكرمًا بأولاده وأهله إلى مدينة هراة، فتولى التدريس بنظاميتها، وتوفى عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.السمعاني:الأنساب ، ج٣ص٣٧٥ ، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ح٤ ص١٠١، السيوطي : لب اللباب ، ج١ص٤٨.

[٣]) – طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٧٦، وانظر :ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص٨٨٨،وقد ذكر ابن تيمية أن جواب الشاشي محتواه،هو محتوى جواب الشيرازي،وربما كان السبكي يقصد ذكر المحضر الذي رفعه الأشاعرة إلى الوزير "نظام الملك" ،يناشدونه التدخل لمنع الخصوم من لعن الأشعري وأصحاب مذهبه،وكان الشاشي أحد الموقعين عليه،وقد ذكرت نصه وظروف كتابته في أعلاه.

توقيع كثير من علمائهم ، كان الوزير قد سمح لأبي نصر القشيري[١] بأن يحاضرعن الأشعرية في مدينة بغداد تصحيحًا للمفاهيم حول الأشعري وعقيدته، وفي محاضرته الأولى تكلم على مذهب الأشعري، ونصَرَه وتعرض للخصوم بالذم ، ونسبهم إلى التجسيم ، وأنهم يخلعون صفات الإنسان على الله ؛ فاستاؤا من ذلك وثاروا ، ونشب نزاع مسلح ضد المدرسة النظامية (إحدى مدارس الأشاعرة) ، وحاول الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن يهديء الحال بين الفريقين[٢] .

وعندما اتضح للعلماء الأشاعرة ميل الخلافة في بغداد للحنابلة ضد القشيري والأشاعرة ، أعلن أبو إسحاق الشيرازي وأساتذة الأشاعرة وقوفهم إلى جانب القشيري ، وكتبوا محضرًا وأرسلوه إلي نظام الملك جاء فيه :

" الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري ، من عقد المجالس وذِكْر الله ـ عز وجل ـ بما يليق به من توحيده وصفاته ونفي التشبيه عنه ، وقمع

---

[١] – الشيخ الامام، المفسر العلامة، أبو نصر عبدالرحيم بن الامام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، النحوي المتكلم، وهو الولد الرابع من أولاد الشيخ أبي القاسم، ولزم إمام الحرمين، فأحكم المذهب والأصول والخلاف، ثم خرج حاجًّا، ورأى أهل بغداد فضله وكماله،ووجد من القبول ما لم يعهد لأحد، وحضر مجلسه الخواص، واتفقواعلى أنهم ما رأوا مثله في تبحره،وتوفى عام٥١٤ هـ/١١٢٠م.ابن عساكر:تبيين كذب المفتري،ص٣٠٨،الذهبي:سيرأعلام النبلاء،ج١٩ص٤٢٤، ٤٢٥، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى،ج٧ص١٥٩– ١٦٦.

[٢] – ابن الجوزي :المنتظم ،ج٨ص٣٠٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٨ص٤١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ص١١٥ .

المبتدعة من المجسمة والقدرية وغيرهم ، واهتدى به خلق كثير من المجسمة ، وصاروا كلهم على مذهب أهل الحق ، ولم يبق من المبتدعة إلا نفر يسير ، فحملهم الحسد والغيظ على سبِّه وسب الشافعي وأصحابه وأئمة ونصار مذهبه ، وهذا أمر لا يجوز الصبر عليه ، ويتعين على المولى ـ أعز الله نصره ـ التنكيل بهذا النفر اليسير الذين تولوا كبرَ هذا الأمر ، وطعنوا في الشافعي وأصحابه "[١] .

وعلى الفور ، بعث نظام الملك بوفد إلى بغداد مصحوبًا برسالة يعبر فيها عن غضبه من خصوم الأشاعرة لهذا التصرف ، ثم طلب من أبي نصر القشيري مغادرة بغداد والعودة إلى نيسابور[٢] .

و)- ولم تكن استجابة علماء المشرق الإسلامي والعراق للاستغاثات والرسائل التي أرسلت من علماء مدينة نيسابور إلى أقاليم العالم الإسلامي هى وحدها فقط ، بل كان لعلماء المغرب والأندلس جهود ومشاركة في الدفاع عن الأشعرية ومؤسسها ، حتى وإن جاءت من علماء غير محسوبين على المذهب الأشعري، نذكر مثالاً على

هذا، بإجابة استفتاء ورد للإمام ابن رشد- (٤٥٠-520هـ/١٠٥٨-١١٢٦م)- ، إمام المالكية هناك ، وإليك السؤال والجواب: "ما يقول الفقيه القاضي الأجل الأوحد أبو الوليد محمد بن رشد في الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وأبي إسحاق الأسفراييني ، وأبي بكر الباقلاني ، وأبي بكر بن

---

[١]) – ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، ص٣١٠- ٣١٧ .

[٢]) – ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ص٣٠٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ص٤٢٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ص١١٥ .

فورك ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي الوليد الباجي، ونظرائهم".؟(...) فأجاب ابن رشد رحمه الله:"تصفحت – عصمنا الله وإياك – سؤالك هذا، ووقفتُ عليه، وهؤلاء الذين سميتَ من العلماء أئمة خير وهدى، وممن يجب بهم الإقتداء ؛ لأنهم قاموا بنصر الشريعة ، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة ، وأوضحوا المشكلات ، وبيَّنوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات ، فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل ، وما يجب له ، وما يجوز عليه، وما ينفى عنه ؛ إذ لا تُعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول ، فمن الواجب أن يُعترف بفضائلهم ، ويُقر لهم بسوابقهم ، فهم الذين عني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله:" يَحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين"[1] ، فلا يَعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق مائل ، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق ، وقد قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً". الأحزاب:٥٨(...).[2]

---

[1]) – صححه الإمام أحمد بن حنبل . الخطيب البغدادي:" أبو بكر أحمد بن علي " ، شرف أصحاب الحديث، تحقيق/ د. محمد سعيد خطي أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة ، ٢٠١٠م ، ص٢٩.

[2]) – السائل هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين بمراكش، ثاني ملوك دولة المرابطين. المتوفى سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٢م، وسؤاله للفقيه أبي الوليد بن رشد يدل على عدم اقتناعه بما كان يروج له بعض خصوم العقيدة الأشعرية من تهم وافتراءات، وباستصداره لفتوى من العلماء المعتبرين الثقات من أمثال ==

تعقيب بعض المؤرخين على موقف علماء الأمة من المحنة:

عقب ابن عساكر على هذه الاستفتاءات بعد ذكرها وقال: فهذه أجوبة هؤلاء الأئمة الذين كانوا في عصرهم علماء الأمة؛ فأما قاضي القضاة أبو عبد الله الحنفي الدامغاني، فكان يقال له في عصره أبو حنيفة الثاني، و أما الشيخ الإمام أبو إسحق ، فقد طبق ذكر فضله الآفاق ، وأما الشيخ الإمام أبو بكر الشاشي ، فلا يخفى محله على منته في العلم ولا ناشيء ، فمن وفقه الله للسداد وعصمه من الشقاق والعناد[١].

أما السبكي فقال: (...) إذ فى وجود مثل إمام الحرمين على ظهر الأرض غنية عن استفتاء غيره من الفقهاء ، وإنه ليقبح بأهل إقليم فيهم إمام الحرمين، بل بأهل عصر أن تقع لهم نازلة فلا يصغون إلى فُتياه، ويكتبون إلى النواحى يستفتون ، كيف وقد كان معه البيهقي محدث زمانه، والقشيرى سيد وقته وخلائق يطول تعدادهم من علماء الأمة، وبالجملة كتبوا استفتاء وأرسلوه إلى بغداد فلم يبق حنفى ولا شافعى إلا وبالغ فى

==

أبي الوليد يضع حدًا فاصلا لهذه التهم الباطلة التي يتعالى عنها أعلام المدرسة الأشعرية، كما أنه بسؤاله مهد لظهور العقيدة الأشعرية التي ستصبح- فيمابعد-العقيدة الرسيمة للمغاربة ."أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي": فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور:المختار بن الطاهر التليلي، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط(١)، ١٩٨٧ج٢ص٨٠٢.

[١]) – تبيين كذب المفتري،ص٣٣٢، ونقل عنه ابن تيمية:التسعينية،ج٣ص٨٨٩.

الكتاب وعظمت عليه هذه الرزية وقد قدمنا ذكر بعض فتاويهم ولا نطيل بالباقى ففى القليل غنية عن الكثير.[١]

والخط الرئيس الواضح لكل لهذه الإجابات على الاستفتاءات يتمثل في التوصيات الآتية:

١)-أن أئمة العقيدة الأشعرية قاموا عبر التاريخ بحفظ الشريعة والرد على المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة ، في إطار رسالة العلماء التي حددها الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

٢)- أن مهمة الأشاعرة واشتغالهم العقدي ارتكز بالأساس على بيان أمور العقيدة بخاصة، مع الرد على الشبه التي كانت تثار حول العقائد الإسلامية بعامة .

٣)- حددت الاستفتاءات عدة مستويات للرد على من يطعن في أعلام المدرسة الأشعرية ، منها : تبصير الجاهل منهم بحقيقة هؤلاء الأعلام ، ومعاقبة المبتدع والفاسق .

٤)- حث ولاة الأمر على تعزير من يطعن في الأشعري والأشعرية ، ردعًا له ولغيره ، وأن من يطعن فيهم فهو يطعن في أهل السنة والجماعة .

---

[١]) – طبقات الشافعية الكبرى،ج٣ص٣٩٥،٣٩٤.

العنصر الخامس: انفراج محنة الأشاعرة ، وتفوقهم

بداية انفراج الأزمة :

في ظل استمرار الاحتجاجات من جانب العلماء والمفكرين الأشاعرة في نيسابور ، فقد ظلت الفتنة قائمة ، والأشاعرة مشردون عن أوطانهم حتى توفي السلطان طغرلبك عام٤٥٥ هـ /١٠٦٣م ؛ تولى بعده ابن أخيه : ألب أرسلان ،الذي اتخذ

لنفسه وزيرًا شافعيًا هو"نظام الملك" الذي كان أميرًا على مقاطعة خراسان ، وقد اتخذه ألب أرسلان وزيرًا ومستشارًا بسبب كفاءته وأمانته وآرائه السديدة[١] .

وحين تولى "نظام الملك" الوزارة ، اتخذ مجموعة من القرارات والاجراءات العاجلة لرفع الظلم عن الأشاعرة ، وإخراجهم من محنتهم ، ومن هذه القرارات :

١)- إصدار أمر بالتوقف فورًا عن سب الأشاعرة ، وإسقاط ذكرهم من قائمة الذين يذكرهم خطباء المساجد باللعن كل يوم جمعة حسب تعليمات الدولة ، والاقتصار على لعن الرافضة .

٢)- تتبع مُدبِّري الفتنة ومنفذيها ؛ لينالوا جزاءهم ، وعلى رأسهم الوزير الكندري.

٣)- صدور أمر باسترجاع من نُفى من العلماء خارج بلده مكرمًا معززًا .

---

[١]) – ابن الأثير :الكامل في التاريخ،ج١٠ص١٠٨.

٤)- بنى لهم خصيصًا مجموعة مدارس ومساجد ، وبدأ بمدينة نيسابور معقل الفتنة.

٥)- وعلى الجملة: فقد أظهر براءتهم وأكرمهم وأحسن إليهم.

وعن هذه القرارات يقول ابن عساكر :"واستوزر ـ أي السلطان ألب أرسلان ـ الوزير الكامل والصدر العالم العادل أبا علي الحسن بن علي بن اسحق ، فأعزَّ أهل السنة، وقمع أهل النفاق ، وأمر بإسقاط ذكرهم من السَّب وإفراد من عداهم باللعن والثلب(إظهار العيوب والنقائص)، واسترجع من خرج منهم إلى وطنه واستقدمه مكرَّمًا بعد بُعده وظعنه ، وبنى لهم المساجد والمدارس وعقد لهم الحِلَق والمجالس ، (...)؛ وكان ذلك تداركًا لما سلف في حقهم من الامتحان ، فاستقام في وزارته الدينُ بعد اعوجاجه ، وصفا عيشُ أهل السنة بعد تكدره وامتزاجه ، واستقر الأمر بيُمن نقيبته على ذلك إلى هذا الوقت ، ونظر أرباب البدع بعين الإحتقار والمقت ، ولم يضر جمع الفرقة المنصورة ما فرط في حقهم في المدة اليسيرة ممن قصدهم

بالمساءة ، ورماهم بالشناعة لما ظهر فيهم اللعن ؛ إذ كانوا براء عند العقلاء وأهل العلم من الابتداع والذم والطعن"[1].

<u>من مظاهرتفوق الأشاعرة</u>:

هناك مجموعة مظاهر تدل على انتصارمذهب الأشاعرة في هذا الوقت ، أكتفي بذكر اثنين فقط وهما:

١)- <u>إنشاء مدرسة نظامية في نيسابورخاصة بالأشاعرة</u>.

---

[1]) – تبيين كذب المفتري، ص١٠٨ ، ١٠٩.

في البداية أود أن أنوه إلى أن "نظام الملك" أنشأ عددًا من المدارس عرفت "بالمدارس النظامية"، وذلك لأنه هو الذي أنشأها فنسبت إليه، ليس هذا فحسب بل وأنفق عليها ووضع لها المناهج والمقررات ، وعين لها أساتذة في الفقه الشافعي ، أشعرية في أصول العقيدة.

ولقد بدأ التفكير فى إنشاء هذه المدارس عقب مجيء السلطان "ألب أرسلان" إلى سدة الحكم ،ووزيره الذي وضع مجموعة من الأهداف ، ورأى أنها لن تتحقق إلا بإنشاء عدد كبير من المدارس الكبرى ذات الصبغة المذهبية الموحدة ، لدرجة أنه لم تكد تخلو مدينة إسلامية كبرى من واحدة منها.[١]

<u>أما بالنسبة لنظامية نيسابور</u>:فقدأنشأها الوزير"نظام الملك" في قلب المدينة التي شهدت محنة العلماء الأشاعرة ، وهى بمثابة رد اعتبار لهم بعدما نالهم من اللعن والإهانة والأذى من قِبل السفهاء ، وكذلك جاء إنشاؤها تكريمًا لأحد العلماء الأشاعرة من مدينة نيسابور، كان لايزال مطاردًا مشردًا عن بلده منذ وقت المحنة ، ذلكم هو الإمام أبو المعالي الجويني ، الذي استدعاه الوزير من منفاه في الحجاز ؛ ليسند إليه

---

[١]) – بنى مدرسة فى بغداد، وفى بلخ، وفى نيسابور، وفى هراة، وفى أصبهان، وفى آمل طبرستان، وفى مرو، وفى البصرة، وفى الموصل، وفى طوس، وفى غيرها من المدن،حتى وصل عددهاالثلاثين آنذاك.ابن خلكان: وفيات الأعيان ح٢ ص١٢٩، السبكى:طبقات الشافعية الكبرى،ح٤ ص٣١٣، المقريزي:المواعظ والاعتبار،ح٢ ص٣٦٣.

رئاستها ، والتي أعتقد أنها أولى مدارس نظام الملك إنشاءً ، فقد بنيت عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٥م ،أي قبل نظامية بغداد الشهيرة بعشر سنين[١] .

قال ابن خلكان [٢] " ثم عاد – أي الإمام الجويني – إلى نيسابور في أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، والوزير يومئذ نظام الملك، فبنى له المدرسة النظامية بمدينة نيسابور ، وتولى الخطابة بها ، وكان يجلس للوعظ والمناظرة ، وظهرت تصانيفه ، وحضر دروسه الأكابر من الأئمة وانتهت إليه رئاسة الأصحاب ، وفوَّض إليه أمور الأوقاف ، وبقي على ذلك قريبًا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مُسَلَّم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة".

وتعد نظامية نيسابور من أشهر المدارس الإسلامية التي أنشئت بنيسابور، فقد نالت صيتًا ذائعًا ، وتولى التدريس فيها أكابر العلماء الأشاعرة ممن كانت لهم قدم السبق في تطور الحياة العلمية وإنعاشها ، وبما تركوا من مؤلفات نفيسة أصبحت من أمهات الكتب المعتمد عليها في العصر السلجوقي والعصور اللاحقة ، وبما خرَّجوا من طلبة نجباء فضلاء كان لهم فضل كبير في نشر الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي .[٣] وكان الوزير"نظام الملك" يهدف من إنشاء هذه المدرسة– وغيرها من النظاميات–،نصرة المذهب الشافعي وتأييده ، فالسلاجقة كانوا متعصبين

---

[١] – عوض سعد محمود عيسى: المدارس النظامية وأثرها في الحركة العلمية، نشرالباحث،القاهرة ٢٠١٣م،ص٣٦.

[٢] – وفيات الأعيان ، ج٣ص١٦٧ .

[٣] – عوض سعد محمود عيسى: المدارس النظامية،ص٣٦.

لمذهبهم الحنفي ضد المذاهب الأخرى خصوصًا الشافعية والأشاعرة كما رأينا سابقًا ، لدرجة أنهم كانوا يضطهدونهم[١] ؛ وكان لهذا الاضطهاد أثر كبير على نفسية نظام الملك الشافعي الذي كان يتدرج في المناصب حتى أصبح وزيرًا للدولة السلجوقية[٢]

وحينئذ: وجدناه يميل للشافعية كثيرًا ، وحين أنشأ المدارس جعل الدراسة فيها على مذهب الإمام الشافعي نصرة له على المذاهب الأخرى[٣] .

وكما عنى نظام الملك بإنشاء المدارس ، والإنفاق عليها ووقف الأوقاف ، فإنه عني كذلك بتحديد منهج الدراسة الذي ستسير عليه ، والمطلع على نوع المقرر يكتشف أنه نصرة للمذهب الشافعي الذي كان يعتنق علماؤه الفكر الأشعري ، ويتضح هذا المنهج من خلال ما ورد في وثيقة وقفية المدرسة من أنها "وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً ، وكذلك شرط فى المدرس الذى يكون بها ، والواعظ الذى يعظ بها ومتولي الكتب وشرط أن يكون فيها مقرئ يقرأ القرآن، ونحوي يدرس العربية"[٤].

ولما كان معظم الشافعية – في هذه الفترة – يتبعون في أصول العقيدة مذهب الأشعري ،فإن اهتمام هذه المدارس انصرف إلى التركيز على مادتين

---

[١] – يراجع ص١٣ – ١٦ من هذا البحث.

[٢] – البندارى :تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٣٢.

[٣] – السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ح٢ ص٢٧٠.

[٤] – ابن الجوزى: المنتظم ح٩ ص٦٦.

أساسيتين هما: الفقه[١] على المذهب الشافعي، وأصول العقيدة على مذهب الأشعري، وإلى جانب ذلك كانت تدرس بعض المواد التى تعين على دراسة المواد الأصلية:

كالحديث[٢] الشريف، والنحو[٣]، والوعظ[٤].ويمكن – من خلال الوقفية وتراجم العلماء – القول بأنَّ أي مدرسة نظامية كانت تتكون من أربعة أقسام:

١ – قسم الفقه وأصوله. ٢ – قسم الحديث.

---

[١] – علم الفقه : في اللغة العلم بالشيء ، والفهم له ، في الإصطلاح : معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب ، والحظر ، والندب ، والإباحة ، والكراهية ، وهي متلقاه من الكتاب والسنة ، ونصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.ابن منظور "محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي"، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ط(١) بدون تاريخ، ج١٣ص٥٢٢ ، ابن خلدون " عبد الرحمن بن محمد " المقدمة ، دار ا بن خلدون للنشر ، الإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ ص٣١٢.

[٢] – علم الحديث : هو ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، أما علم رواية الحديث : فهو العلم الذي يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول – صلى الله عليه وسلم – من حيث أحوال رواته ضبطا ، وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا . طاش كبرى زاده " أبو الخير أحمد بن مطر " ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم "، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ج٢ص٥٢ .

[٣] – علم النحو : هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الأعراب والبناء وغيرهما . ابن منظور : لسان العرب ج٧ص٣٠٩ ، الجرجاني "علي بن محمد بن علي " ، التعريفات ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(١) ١٤٠٥هـ ص٣٠٨.

[٤] – (الوعظ) ، الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب بما يلين القلب من ثواب وعقاب . ابن منظور : لسان العرب ج١٥ص٣٠٩ ، الجرجاني : التعريفات ص٣٢٧ .

٣- قسم علوم القرآن. ٤- قسم اللغة العربية وآدابها.

ولقد كان لهذه المدرسة أثر كبير في العالم الإسلامى،حيث تفوق مذهب الشافعي، وانتشر فكر الأشاعرة ، والسبب في هذا أن هيئة التدريس فيها لابد أن يكونوا شافعية - كما جاء في شرط الواقف- ، وعلى أيديهم تخرجت الآلاف الكثيرة من الطلاب، وانتشروا في العديد من بقاع العالم الإسلامى، حاملين معهم الفقه الشافعي، حتى قُدر للمذهب الشافعي أن يتفوق على بعض المذاهب السنية الأخرى ، بل ويشاركها الانتشار في مناطق نفوذها إن لم يتغلب عليها[١].

أما بالنسبة لفكر الأشاعرة:فقد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالفقه الشافعي،حتى إن السبكي ذكر في ترجمة الأشعري هذا الارتباط فقال: "وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما

استقر عليه مذهب أبى الحسن الأشعري، وصنَّف أصحاب الشافعي كتبًا كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري".[٢]

ولقد قدر لعقيدة الأشعري أن تنتشر في الأقاليم المختلفة للدولة الإسلامية بفضل هؤلاء الأساتذة والطلاب الذين درَّسوا أو تعلموا في المدارس النظامية، حتى أصبحت عقيدة السواد الأعظم من أهل السنة. [٣]

---

[١] - آدم متز :الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨م،ص ٣٣٢، ٣٣٣،عبد المجيد أبو الفتوح: التاريخ السياسي والفكري ص١٩٩.

[٢] - طبقات الشافعية الكبرى ح٢ ص٢٦١.

[٣] - عوض سعد محمود عيسى: المدارس النظامية،ص١٣٠.

٢)- <u>الدفع بالعلماء الأشاعرة في الجهاز الإداري للدولة</u>:

من مظاهر انتصار الأشاعرة بعد المحنة ، الدفع بعلمائهم في الجهاز الاداري للدولة ؛ فمن خريجي المدرسة النظامية بنيسابور- وغيرها من النظاميات الأخرى- كوَّن "نظام الملك" مجموعات من الموظفين الأشاعرة ، ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة وإدارة دواوينها ، ولذلك قامت المدارس بتخريج الأفراد الذين عملوا على تحمل مسؤولياتهم في تلك الوظائف.[١]

ومن هؤلاء الأشاعرة الذين عملوا في الجهاز القضائي : محمد بن محمود الجويني ،الذي تولى قضاء البصرة حتى توفى بها سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م.[٢] ومنهم : أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي ، الذي تولى قضاء " تكريت "[٣]

مدة ، بعد أن سافر إلى عدة مدن طلبًا للعلم ، وولي التدريس بالنظامية سنة ٦٠٧هـ / ١٢١١م ، وتوفي سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م .[٤]

---

[١] – سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي، مصر ١٩٨٦م ص٣٣٥، محمد على الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ط(١) ٢٠٠٦م ، ص ٢٨٤.

[٢] – السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٥ص٤١ .

[٣] – تكريت : مدينة تقع على ضفة دجلة الغربية ، وكانت تعد أخر مدينة في حد العراق تفصل بينه وبين الجزيرة ، وهي مشهورة بقلعتها الحصينة المطلة على دجلة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ص١٦٧ .

[٤] – السبكي:طبقات الشافعية الكبرى، ج٥ص١٤٩ ، ١٥٠ .

وكذلك :ابن شداد بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ، الذي عين قاضيًا للعسكر أيام صلاح الدين الأيوبي[١] سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، ولقد توفي ابن شداد سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م .[٢] ومن أشهر الذين تولوا وظائف إدارية في دواوين الدولة العماد الأصفهاني : محمد بن محمد بن حامد بن محمد، الكاتب والأديب والمؤرخ، الذي رحل إلى بغداد سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٠م ، وتفقه على يد كبار علمائها ، ثم أصبح واحدًا من كتاب الوزير : يحيى بن هبيرة[٣]، وولاه النظر في البصرة وواسط .

---

[١]) – صلاح الدين هو : يوسف بن ايوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر ، ولد بتكريت سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م ، ونشأ في دمشق ، حصَّل علمه في بلاد الشام ومصر ، ودخل في خدمة السلطان : نور الدين محمود زنكي ،وكان له دور في اسقاط الدولة الفاطمية في مصر ، ثم استقل بها ، وكان أعظم انتصار له على الصليبيين في موقعة حطين ، التي أدت إلى فتح القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٣٨م ، وتوفي سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ص٣٧٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٤ص٣٢٥ ، الزركلي : الأعلام ج٨ص٢٢٠ .

[٢]) – ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ص٨١–٨٢.

[٣]) – يحيى بن محمد بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني ، وله نظم جيد ، اتصل بالمقتفي لأمر الله فولاه بعض الأعمال ، وظهرت كفاءته ، ثم استوزره المقتفي سنة ٥٤٤ هـ / ١١٥٠م فقام بشئون الوزارة حكما وسياسة وإدارة ، وتوفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م . ابن الجوزي : المنتظم ج١٠ص٢١٤–٢١٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٦ص٢٣٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٢٦ .

وبعد وفاة ابن هبيرة انتقل العماد إلى دمشق ، فأسند إليه نور الدين محمود [١] الإشراف على " ديوان الإنشاء"[٢] ، بل وفوض إليه التدريس " بالمدرسة النورية"[٣] التي أنشأها للشافعية ، والتي عرفت فيما بعد " بالمدرسة العمادية" ، نسبة إلى العماد الأصفهاني ، حيث كان أول من درَّس بها[٤] .

---

[١] – نور الدين محمود بن عماد الدين آق سنقر أبو القاسم العادل ، ملك الشام ومصر وديار الجزيرة ، كان جده من موالي الدولة السلجوقية ، انتقلت إليه إمارة حلب بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١هـ / ١١٤٧م ، استقل بها عن السلاجقة وضم دمشق إلى ملكه ، وممالك اخرى وخطب له بالحرمين ، وكان مداوماً على الجهاد ، ومباشرًا له بنفسه ، وموفقاً في حروبه ضد الصليبيين ، وبنى عدة مدارس ، وتوفي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١١ص١٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ص٨٧ ، النعيمي : " عبد القادر بن محمد الدمشقي " الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق / جعفر الحسني ، المجمع العلمي بدمشق ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ج١ص٩٩ ، ٣٣١.

[٢] – ديوان الإنشاء : كان يعني بالكتابة والرسائل والعلاقات الوثائقية والدبلوماسية بين الدولة الإسلامية وغيرها ، ظهر أيام الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – على الأرجح حين اتخذ عددًا من الكتاب، القلقشندي " أحمد بن علي " ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق / يوسف علي الطويل ، دار الفكر ، دمشق ، ط (١) ١٩٨٧م ج٥ ص٤٣١.

[٣] – المدرسة النورية : بخط الخواصين ، أنشأها نور الدين محمود ، وكانت دارًا لمعاوية رضي الله عنه . النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ج١ص٢٦٢ .

[٤] – ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٢٣٣ .

لقد أعطت المدارس التي أنشأها نظام الملك للشافعية الأشاعرة في دولة السلاجقة دفعة قوية لمذهب الأشعري ، فقد أمكن لهذا المذهب أن يعلَّم رسميًا ، وأن تنفق الدولة على تعليمه ، وتتولى رعايته ، كما أمكن لعلماء هذا المذهب أن يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية ، وبهذا كسب المذهب الأشعري الجولة الأخيرة في صراعه مع المذاهب المختلفة ، وخاصة المعتزلة والحنابلة.

كلمة للتاريخ في حق الوزير"نظام الملك"

وهى: أنه مهما قيل عن التزام الوزير "نظام الملك" بوجهة نظر المذهب الشافعي في الفقه ، والمذهب الأشعري في أصول العقيدة ، ورغبته في نشرهما ، فإنه من غير المعقول أن يكون في موقف المتصارع مع السلطنة السلجوقية من جهة ، والخلافة العباسية من جهة أخرى ، وعلى حساب مصلحة الأمة وتنافر أصحاب المذاهب وإثارة الاضطرابات بينها كما بينا في مكانه ، بل إن "نظام الملك" حاول معاملة أصحاب المذاهب المختلفة في نيسابور والمشرق الإسلامى والعراق بالعدل والمساواة ، يتضح ذلك تمامًا من خطاب أرسله "نظام الملك" إلى أبي إسحاق الشيرازي، يوضح فيه أنه لن يحازب مذهبًا ضد آخر ، بل يتوق إلى رؤية أهل السنة متحدين ؛ ولقد انبثق موقف "نظام الملك" من إدراكه لواقع الاختلاف المذهبي المعقد ، ولم يكن يرغب في نشر الفوضى والدمار لمجرد تفضيله مذهبًا معينًا.[١] ومما جاء في هذا الخطاب:

---

[١] – صفية سعادة:تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج للطباعة ،النشر ،التوزيع ، بيروت ، لبنان ط (١) ١٩٨٨م،ص٨١ .

"ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان ، وقضية العدالة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة ، لا للاختلاف وتفريق الكلمة ، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب ، فليس إلا التقدم بسد الباب (...)،وكان ما انتهى إلينا أن السبب في تجديد ما تجدد ، مسألة سئل عنها أبو نصر القشيري من الأصول ، فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه في معتقداتهم ، والشيخ الإمام أبو إسحاق ـ وفقه الله ـ رجل سليم الصدر ، سلس الانقياد ، ويصغي إلى كل من ينقل إليه ، وعندنا من تصادر كتبه ، ما يدل على ما وصفناه من سهولة مجتذبة والسلام"[١] .

والذي يظهر من هذه الرسالة : هو تصميم "نظام الملك" على تهدئة النفوس بين الأشاعرة وخصومهم،ففي البداية تعاطف مع الأشاعرة ، وحين هدأت الأمور ، أدار ظهره لهم بغية إعادة التوازن بين الخصوم ، فدعا أبا نصر القشيري للعودة إلى نيسابور ، وبعث بهذه الرسالة إلى أبي إسحاق الشيرازي يحذره ويطالبه بأن يأخذ بعين الاعتبار الاختلاف المذهبي[٢] .

• وبهذا تكون المحنة التي تعرض لها الأشاعرة في نيسابور قد زالت بعد أن استمرت مدة طويلة(٤٤٥-٤٥٥ هـ /١٠٥٣-١٠٦٣م)، ليس هذا فقط ، وإنما حدث تفوق وانتصار لهم ، وذلك عن طريق عدة عوامل ، كان أهمها: بناء مدرسة خاصة لأصحاب العقيدة الأشعرية في نيسابور، هذه

---

[١] – ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ص٣١٢ ،ابن كثير: البداية والنهاية ،ح١٢ ص١١٧.

[٢] – صفية سعادة : تطور منصب قاضي القضاة ، ص٨٢.

المدرسة جاءت كرد فعل ونتيجة لما كان يتعرض له العلماء آنذاك ؛ وجاء زوال المحنة-أيضًا- نتيجة لكفاح مرير خاضه أبرز علماء الأشاعرة في نيسابور ، كان على رأسهم الإمام أبو القاسم القشيري ، والإمام الجويني ، والإمام أبو بكر البيهقي ؛ وكذلك نتيجة للتحركات والدعم الذي جاءهم من مناطق أخرى ، كبغداد وبلاد المغرب الإسلامي ، كدعم الإمام أبي عبدالله الدامغاني ، وهو حنفي ، والشيرازي ،والشاشي ،والإمام ابن رشد ، وهو كبير المالكية في المغرب والاندلس ؛ وكذلك جاء زوالها ثمرة لفهم الناس وسلاطين دولة السلاجقة طبيعة وبساطة ووسطية العقيدة الأشعرية ، إذا ما وضعت وسط المذاهب الأخرى .

خاتمة البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله،وعلى آله وصحبه وسلم..... وبعد.

فقد تبين في الصفحات السابقة طبيعة المذهب الأشعري العقائدي ، وكيف بدأت أحداث المحنة في مدينة نيسابور، وقدم الباحث دراسة تاريخية حضارية عن أسبابها ، ونتائجها ، وجهود العلماء في كشف طبيعة ووسطية مذهب الإمام الأشعري ، حتى فرَّج الله عنهم هذه المحنة ، بل ونصرهم على خصومهم وحاقديهم ، ويمكن استخلاص العديد من النتائج ومنها:

١)- ظهر المذهب الأشعري في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، ونما وازدهر حتى بلغ قمة انتشاره في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

٢)- تطور الفكر الأشعري بشكل ملحوظ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، على يد مجموعة متميزة من تلاميذ الإمام أبي الحسن الأشعري صاحب المذهب.

٣)- كادت الخصومة السياسية والمذهبية أن تعصف بالعلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور ، لولا أن سخر الله من يدافع عنهم .

٤)- تعرض العلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور لمحنة عظيمة بدأت سنة ٤٥٥ /١٠٥٣م ،أدت إلى نتائج مؤلمة لهم ، وأصبحوا بين مُصَادَرِين ومطاردين ومسجونين ومنفيين عن الأوطان .

٥)- أثبتنا في هذا البحث أن الوزير أبا نصر الكندري وزير السلطان السلجوقي طغرلبك ، هو السبب الرئيس في إشعال هذه الفتنة ، والتي بدأت باستصدار قرار من السلطان بلعن الأشعري والأشاعرة على المنابر كل يوم جمعة ، على أساس أنهم من المبتدعة ؛ كما أثبتنا أن الوزير دبر هذا بدافع سياسي وهو خوفه على منصب الوزارة ، وبدافع مذهبي بحكم تعصبه للمذهب الحنفي .

٦)- قام العلماء الأشاعرة بجهود كبيرة للدفاع عن مذهبهم ، وذلك بتوضيح حقيقة المذهب للسلطان والوزراء والناس أجمعين ، من خلال الاحتكاكات العلمية ، والرسائل الموجهة لمعظم الجهات.

٧)- أحدثت تحركات العلماء الأشاعرة في مدينة نيسابور صدى قويًا خارجها،فتحرك علماء آخرون في المشرق والمغرب ، استجابة لاستغاثاتهم ، مع ملاحظة أن هذه التحركات لم تكن قاصرة على الأشاعرة فقط ، بل شملت أيضًا أحنافًا ، ومالكية ، وشافعية ، ومحدثين وغيرهم.

٨)- كانت بداية انفراج هذه المحنة موت السلطان طغرلبك ،ومجيء السلطان "ألب أرسلان" ،الذي استوزر مفكرًا كبيرًا ، هو"نظام الملك" ، الذي أصدر عدة قرارات عاجلة منها : التوقف عن لعن أبي الحسن الأشعري فورًا ، ودعوة العلماء الأشاعرة المنفيين للعودة إلى بلدهم نيسابور، كما أمر ببناء مدرسة في نيسابور لأحد أقطاب الأشعرية ، وهو الإمام أبو المعالي الجويني ،الذي ترأسها بعد عودته من المنفى ، وظل يدَّرس فيها ثلاثين عامًا.

٩)- لم تستطع هذه المحنة القضاء على المذهب الأشعري في إقليم من أكبر أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك وهو نيسابور،بما تميزبه من قوة

وأصالة ، مكنته من الاستمرار قرونًا طويلة ، وترجع قوة هذا المذهب وأصالته عبر عصور التاريخ ، إلى اعتماده على أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم الأئمة في أصول الدين.

١٠)- كانت هذه المحنة فاتحة خير على العالم الإسلامي ، حيث شهدت الحركة العلمية ظهور العشرات من المدارس التعلمية بشكل رسمي ،وبإشراف من الدولة السلجوقية نفسها ، وكانت نواة هذه المدارس في مدينة نيسابور ، موطن المحنة.

١١)- عرفت هذه المدارس " بالمدارس النظامية" ، نسبة للوزير " نظام المُلك" ، فهو الذي فكر في المشروع ، وخطط له ، ونفذه ، وأنفق عليه ، وتابع الإشراف عليه .

١٢)- وعلى الرغم من ميل الوزير"نظام الملك" للفقه الشافعي والعقيدة الأشعرية، فإنه لم يحازب مذهبًا على حساب آخر في أي خلافات طرأت بينهم ، بل عاملهم جميعًا بالعدل والاحسان .

أهم المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

• ابن الأثير "على بن أحمد بن أبى الكرم": ت ٦٣٠هـ.

١)- الكامل فى التاريخ ، بيروت ، لبنان ١٩٧٨م.

• البغدادي" عبد القادر بن طاهر بن محمد ": ت:٤٢٩ هـ

٢)- الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط(٢) ١٩٧٧م.

• البندارى "الفتح بن على بن محمد": ت ٦٤٣هـ

.

٣)- تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت لبنان ط(٢) ١٩٧٨م.

• ابن تغرى بردي"أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى":

ت: ٨٧٤هـ.

٤)- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب المصرية ، القاهرة 2005.

• ابن تيمية:"أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم تقي الدين" ت:٧٢٨هـ

٥)- التسعينية،دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، المملكة العربية السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م.

• الجرجاني "علي بن محمد بن علي ": ت:٨١٦ هـ

٦)- التعريفات ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(١) ١٤٠٥هـ .

• ابن الجوزى "أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد": ت ٥٩٧هـ.

٧)- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر ، بيروت ط(١) ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

الخطيب البغدادي:" أبو بكر أحمد بن علي " ت:٤٦٣ هـ.

٨)- شرف أصحاب الحديث، تحقيق/ د. محمد سعيد خطي أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة ، ٢٠١٠م.

• ابن خلدون " عبد الرحمن بن محمد " ت : ٨٠٨هـ

٩) المقدمة ، دار ابن خلدون للنشر ، الإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ .

• ابن خلكان "أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر" ت:٦٨١هـ.

١٠)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق/ إحسان عباس – دار صادر – لبنان ١٩٦٨م.

• الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان" ت:٧٤٨هـ.

١١)- سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من الأساتذة تحت إشراف: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١م.

• ابن رشد"أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي": ت: ٥٢٠هـ

١٢)- فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور:المختار بن الطاهر التليلي، طبعة دار الغرب الإسلامي. بيروت، لبنان،ط(١) ١٩٨٧م.

• السبكى "عبد الوهاب بن على بن عبدالكافى"" ت ٧٧١هـ

١٣)- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحى، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة ط(١) ١٩٦٦م.

• السمعانى "أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور": ت ٥٦٢هـ.

١٤)- الأنساب ، تحقيق/ عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ط(١) ١٩٩٨م.

• السيوطي "جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر": ت ٩١١هـ

١٥)- لب اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق / محمد أحمد عبد العزيز ، وأشرف أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م.

• الشهرستاني" أبو الفتح محمد بن عبد الكريم" ت : ٥٤٩هـ

١٦)- الملل والنحل ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، لبنان ١٤٠٤ هـ.

• طاش كبرى زاده " أبو الخير أحمد بن مطر ": ت : ٩٦٢هـ .

١٧) - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الفكر ، بيروت ، بدون.

• ابن طبا طبا "محمد بن على": ت:٧٠٩هـ

١٨)- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٢٧م .

• ابن عساكر "على بن حسن": ت ٥٧١هـ.

١٩)- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق:علي شيري،دار الفكر للطباعة،بيروت ١٩٨٠م.

٢٠)- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط (٣) ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

• ابن العماد الحنبلي "أبو الفلاح عبد الحي" ت:١٠٨٩هـ.

٢١)- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، منشورات دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٩م.

• القلقشندى "أحمد بن على": ت:٨٢١هـ.

٢٢)- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، تحقيق/ يوسف على الطويل ، دار الفكر ، دمشق ، ط(١) ١٩٨٧م.

• ابن قيم الجوزية"محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ": ٧٥١ هـ

٢٣)- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، مطابع الإسلام، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ

• ابن كثير"إسماعيل بن عمر بن كثير" ت:٧٧٤هـ.

٢٤)- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ.

• المقريزى "تقي الدين أبو العباس أحمد بن على" ت:٨٤٥هـ.

٢٥)- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (المعروف بالخطط المقريزية) ، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م.

• ابن منظور "محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي" ت:٧١١هـ.

٢٦)- لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ط(١) بدون تاريخ.

• النعيمى "عبد القادر بن محمد الدمشقي" ت:٩٢٧هـ.

٢٧)- الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق: جعفر الحسنى ، المجمع العلمي بدمشق ١٩٤٨م.

• ياقوت الحموي "ياقوت بن عبد الله الحموي" ت:٦٢٦هـ.

٢٨)- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.

ثانياً:المراجع:

• آدم متز:(مستشرق)

٢٩)- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٨م.

• إبراهيم بسيوني:(دكتور)

٣٠)- الإمام القشيري،سيرته،وآثاره،ومذهبه في التصوف،القاهرة سنة ١٩٧٢م،ص١٨٩.

• أحمد أمين:(الأستاذ)

٣١)- ظهر الإسلام،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط(١)،٢٠٠٤م.

• بارتولد: فلاديميرويج:(مستشرق)

٣٢)- تاريخ الترك في آسيا الوسطى،ترجمة:أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٥٨م.

• الزركلى "خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقى"(المؤرخ)

٣٣)- الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ط(١) ٢٠٠٢م .

• زهدي جارالله:(دكتور)

٣٤)- المعتزلة،الدارالأهليةللنشروالتوزيع،بيروت،ط(٢) ١٩٧٤م،ص ٢١٤.

• سعيد إسماعيل على:(دكتور)

٣٥)- معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي مصر ١٩٨٦م.

• صفية سعادة:(دكتور)

٣٦)- تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج للطباعة ،النشر ،التوزيع ، بيروت ، لبنان ط (١) ١٩٨٨م.

• عبد الرحمن بدوي:(دكتور)

٣٧)- مذاهب الإسلاميين،المعتزلة،والأشاعرة،الإسماعيلية،القرامطة ؟، دار العلم للملايين،بيروت ١٩٩٧م.

• عبدالمجيدأبوالفتوح بدوي:(دكتور)

٣٨)- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي،من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،ط(٢) ١٩٨٨م.

• عوض سعد محمود عيسى:(دكتور)

٣٩)- المدارس النظامية وأثرها في الحركة العلمية،نشر الباحث،مصر ٢٠١٣م.

• فاروق عبد المعطي:(دكتور)

٤٠)- العزبن عبد السلام،سلطان العلماء ،سلسلة أعلام الفقهاء والمحدثين،دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٩٣م.

• كي لسترنج:(مستشرق)

٤١)- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة:بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤م.

• محمد على الصلابى(دكتور):

٤٢)- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠١٠م

• محمد عمارة:(دكتور)

٤٣)- تيارات الفكر الإسلامى ، دار الشروق ، مصر ط(٢) ١٩٩٧م

• محمود شاكر شاكر: (دكتور)

٤٤)- إيران،مؤسسة الرسالة،بيروت سنة١٩٧٥م.

• مصطفى الشكعة: (دكتور)

٤٥)- إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩٣م .

الفهرس العام

م	الموضوع
١-	المقدمة
٢-	التمهيد وسطية مذهب الأشاعرة بين التيارات الفكرية الرئيسية.
٣-	العنصرالأول: أحداث المحنة التي وقعت للعلماء الأشاعرة بنيسابور، وما ترتب عليها.
٤-	العنصرالثاني: دراسة تاريخية تحليليةلأسباب المحنة.
٥-	آراء المؤرخين في أسباب المحنة
٦-	انفراد السبكي بالأسباب الحقيقية للأزمة.
٧-	العنصرالثالث: من جهود كبار العلماء الأشاعرة في الدفاع عن مذهبهم(الإمام القشيري،والإمام البيهقي).
٨-	رسالة الإمام القشيري إلى البلاد،ومحتواها.
٩-	رسالة الإمام أبي بكر البيهقي إلى الوزيرالكندري، ومحتواها.
١٠-	العنصرالرابع: أثر تحركات علماء نيسابور على العلماء خارجها.
١١-	تعقيب بعض المؤرخين على موقف علماء الأمة من المحنة.

١٢-	العنصرالخامس: انفراج محنة الأشاعرة ، وتفوقهم
١٣-	بداية انفراج الأزمة
١٤-	من مظاهر تفوق الأشاعرة.
١٥-	كلمة للتاريخ في حق الوزير"نظام الملك".
١٦-	الخاتمة.
١٧-	قائمة المصادر والمراجع.
١٨-	الفهرس العام.